

المظففة

السلاسية

في مدح خير البرية ﷺ

مولانا محمد أحمد رضا خان

شرحها ونقلها إلى الشعر العربي
د/ حسين مجيب المصري

ترجمها عن الأردية
حازم محمد أحمد محفوظ

الدار الثقافية للنشر



0168792

Bibliotheca Alexandrina



المُظَوِّتُ السَّلامِيَّةُ فِي مَدَحِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مَوْلَانَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ رِضَا خَانًا

ترجمها عن الأردية
حازم محمد أحمد محفوظ
شرحها ونقلها إلى الشعر العربي
د/حسين مجيب المصري

الدار الثقافية للنشر



عنوان الكتاب: المنظومة السَّلامية فى مدح خير البرية ﷺ

اسم المؤلف: أحمد رضا خان

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٩٩/ ٥٨٨٣

الترقيم الدولى: 3 - 80 - 5875 - 997 ISBN

اسم الناشر: الدار الثقافية للنشر

الطبعة الأولى

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

كافة حقوق النشر والطبع محفوظة للناشر

الدار الثقافية للنشر - القاهرة

ص. ب ١٣٤ بانوراما أكتوبر - هاتف وفاكس ٤٠٢٧١٥٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب/ آية ٥٦]

صدق الله العظيم

إهداء

إلى من بلغ الغاية فى تقواه ،
فهام كل الهيام بمصطفاه ،
الذى مستقيم الصراط هداه ،
فطاب نفسا بأن يُنطق اللسان ،
بما يخفف به الجنان .

شكر واجب

أتقدم بالشكر صادقاً موفوراً إلى ولدى البار الأستاذ/ حازم محمد محفوظ ، الذى كان له الفضل فى تعريفى بمولانا أحمد رضا خان ومنظومته ، وأعارنى المراجع الأردنية والعربية . وتعاون معى فى الأخذ منها ، ولولاه ما كان لى أن أعرف ما عرفت ، ولا أكتب ما كتبت ، فله عظيم أجر بصير أخذ بيد ضريـر . وأدعو الله له بحسن المثوبة على صدقة العلم .

د . حسين مجيب المصرى

تقدمة

من المعلوم على وجه اليقين أن بت الصلة بين الكتاب وصاحبه ضرب من المحال، ذلك أن الكتاب لا بد أن يحمل صورة واضحة أو باهتة للملامح شخصية من أخرجه، ويشير من بعيد أو قريب إلى سيرته. هذا مشاهد فى عموم على النطاق الواسع، بيد أن هذا العموم قد يضيق ويضيق، خاصة إذا كان المبدع شاعرا ولزيادة فى الإيضاح نقول إن شعر الشاعر لا بد أن يكون له مرآة مجلوة لنفسيته وشخصيته وبالتالي لسيرته. حيثذ إذا ما توفرنا على دراسة شاعر لزم أن نطرق كل باب ندخل منه على سيرته. وبمثل هذا الصنيع نكون قد رددنا المسبب إلى السبب، وربطنا النتيجة بالمقدمة وأخذنا بالمنهج الأقوم فى الدراسة التى أخلينا لها ذرعنا وكرسنا جهدنا.

تلك حقيقة تبدو فى تمام الوضوح إذا قلبنا النظر فى المنظومة السلامية لصاحبها الإمام محمد أحمد رضا خان، وهو علم من الأعلام الذين لا وجود الزمان بأمثالهم إلا فى الندرة ذلك أنه شاعر رفيع الطبقة وكتيب وخطيب وداعية إسلامية رفيع القدر لا يقل فى شأنه عن محمد إقبال إضافة إلى أنه فقيه إمام له من التأليف والتصانيف كثير وكثير.

إنه محمد أحمد رضا خان ابن العارف بالله محمد تقى على خان القادرى ابن العارف بالله محمد رضا على خان النقشبندى، ولأسرته واسع الشهرة بالعلم والفضل بين أهل شبه القارة؛ على تفاوتهم فى حظهم من علمهم، وثقافتهم.

لقد ارتحلت أسرته عن ضواحي مدينة قندهار ببلاد الأفغان، وطاب لها المقام فى مدينة بريلى فى شبه القارة، وذلك على عهد دولة المغول^(١). حكوا قالوا إن أسلافه تولوا رفيع المناصب فى تلك الدولة، وذلك لما كانوا عيه من علم غزير رفيعهم مقاما عليا^(٢). كما ذكر أن أجداده كانوا أعلاما منهم الوزراء والمؤلفون والأئمة والدعاة والمجاهدون فى سبيل الله، إلى كونهم فى مال واسع^(٣).

ولنا أن نبسط القول بعض البسط فى أفراد أسرته وما ذاك إلا أن حياة الأسرة لا شك لها أثرها فى أبنائها.

كان جده الإمام محمد رضا على خان، المتوفى عام ١٨٦٦، والذى تلقى العلم أسوة

(١) محمد ظفر الدين بهارى، حیات اعلی حضرت، ج ١، ص ٢ كراتشى).

(٢) شجاعة على القادرى، من هو أحمد رضا البريلوى الهندى، ص ١٦ (لاهور).

(٣) محمد ظفر الدين بهارى، المرجع السابق.

بأبناء زمانه على والده فحصل العلوم العقلية والنقلية وبرز . فيها ولما يتجاوز الثالثة والعشرين^(٤) . ومع كونه فى صدر شبابه اتسعت له الشهرة بأنه من شيوخ التصوف الأكابر الذين التف حولهم المريدون يسمعون منهم ويأخذون عنهم ، وكانت حياته حياة الزهاد والعباد ، كما ظهرت له كرامات وكرامات^(٥) .

ومحمد أحمد رضا خان معتز بجده هذا مباه بشرف انتسابه إليه وله شعر بالعربية يؤرخ لوفاته فيقول : (٦)

جـدى كان عالـما	لـم ير مثـله النـظـر
بهجة جل من مضى	حجة كل من غبر
قال رأيت أنجـمـا	قلت نظرت قال ذر
قلت فكيف نهـتـدى	قال أضـاءـنا القـمـر
قلت فعام نقلـه	قال محـجـل

وعبارة (محجل أغر) بحساب الجمل تساوى ١٢٨٢ هـ . وهو العام الذى توفى فيه جده الشيخ رحمه الله .

أما أبوه الإمام محمد نقى على خان ، ففى مدينة بريلى كان مولده ، وكان من شيوخ المتصوفة ، ومن علماء الأحناف الأعظم وشهرته بالزهد والورع والعلم الغزير ، ومع ذلك المال الجزيل الذى ورثه عن أبيه خرج من ماله للفقراء وأثر الزهد والقناعة بأقل القليل^(٧) .

وارتحل إلى أرض الحجاز وهناك نال الإجازة فى رواية الحديث الشريف من العالم الشهير السيد أحمد بن زينى دحلان . وهنا ندرك العلاقة الوثقى بينه وبين علماء العرب الذين أكرموا وفادته وقدره حق قدره وذلك فى عام ١٨٨٠ ، ولمحمد نقى على خان

(٤) محمد مسعود أحمد (دكتور) ، حياة مولانا أحمد رضا خان البريلوى ، ط ١ ، ص ٨٤ (سيالكوت ، ١٩٨١م) .

(٥) محمد عبد الحكيم شرف قادري ، ياد أعلى حضرت بريلوى ، ص ١٢ ، ١٣ (لاهور ، ١٩٩٤م) .

(٦) محمد أحمد رضا خان ، بساين الغفران ، جمعه ورتبه وقدم له وأردفه بملحق : حازم محمد أحمد محفوظ ، ط ١ ، مجمع بحوث الإمام أحمد رضا ، أنشع (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧م بكراتشى ، ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٧) حازم محمد أحمد محفوظ ، محمد رضا خان والعالم العربى ، ط ٢ ، لاهور ، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م ، ص ٢٠ .

خمس وعشرون مؤلفا في الدراسات الإسلامية، وكانت وفاته عام ١٨٨١ . وقبره
مزار لأهل التقوى يلتصقون بزيارته البركات (٨) .

ومحمد أحمد رضا خان يردد ذكر أبيه في شعره العربي مقرونا بالإعجاب به والثناء
عليه كأن يقول في قصيدة له تحت عنوان : رن الحمام على شجون البان (٩) :

وارحم أبى وأباه رحما دائما
واجعل قبورهما رياض جنان
آنسهما اللهم فى جدثيهما
بالحور والغلمان والرضوان
أبدلهما دارا وجارا خيرا
من هؤلاء الدور والجيران
حتى يقول الناظرون إليهما
بتعجب وتباشير وتهان
عبدان مرحومان رب غافر
نزل كريم منزل روحان

وندرك مما ذكر عن جده وأبيه أنه كان شريف النسب عريق الحسب وذلك فى العلم والدين
والتقوى مما يستدل منه على أنه لا بد ورث عنهما تلك الصفات التى امتاز بها وأثبت بقاطع
البرهان على أن للنسب حكما وأن الولد سر أبيه كما هم قائلون .

وبعد أن بلغنا بالكلام متناه فى جده وأبيه بما يهد لتمثله فى علو شأنه بالعلم والدين
على الأخص ، نلتفت إليه فنقول : إن جده سماه أحمد رضا إلا أنه اشتهر فى الأوساط
الدينية والعلمية والأدبية على حد سواء بمحمد أحمد رضا خان ، أما تخلصه أى اسمه
الذى يطلقه على نفسه فى شعره العربى والفارسى والأردى فهو رضا (١٠) . وهنا نقف وقفة
لنزيد الأمر وضوحا فنقول إن شعراء الفارسية والتركية والأردية يعرفون باسم لهم
يختارونه لأنفسهم فى شعرهم كأنما هو توقيع باسمهم على شعرهم يستدل منه على أن هذا

(٨) حازم محمد أحمد المحفوظ ، المرجع السابق ، ص ٢١ .

(٩) بساتين الغفران ، ص ٨٧ .

(١٠) حازم محمد أحمد المحفوظ ، محمد أحمد رضا خان والعالم العربى ، ص ٢٣ ، ٢٤ .

الشعر منسوب إليهم، غير أن العرب لم يعرفوا هذا في شعرهم . ومادام محمد أحمد رضا خان يذكر تخلصه أو لقبه الشعري في شعره العربي فلا شك أنه متأثر بما جرى عليه العرف عند شعراء الفارسية، والأردية، والتركية . فكان هذا جديدا على الشعر العربي . مثال ذلك قوله من قصيدة يرثي بها عالما يسمى عبد الغنى^(١١) :

رقم الرضا تاريخه متفائلا عبد الغنى بجنة علياء
ومن تمة الكلام في اسمه أنه ينتسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم - فيتسمى بالمحمدي والأحمدي، وكذلك يسمى نفسه السني والحنفي والقادري، وكذلك ينسب نفسه إلى بلده، فيقول : البريلوي، وهذا ما نعهده عند المشاهير من العلماء والأدباء .
ومما ينهض دليلا على اعتزازه بنسبته إل النبي صلى الله عليه وسلم أنه اختار لنفسه كذلك اسم عبد المصطفى، ونراه مباهايا بذلك في شعره الأردى والعربى، فهو القائل في شعره الأردى^(١٢) :

يا رضا مالى أراك خائفاً ، لك الأمان فأنت عبد المصطفى
وله عند رجالات الدين والعلم والأدب ألقاب لا تكاد تدخل تحت حصر، منها :
الفاضل البريلوي، والحضرة العالية، والمجدد، وشيخ الإسلام والمسلمين، ورئيس المفسرين، وإمام المحدثين، وأفقه العلماء والمتكلمين، والعلامة المحقق، وشيخ مشايخ التصوف، وشاعر المديح النبوى الشريف، وأستاذ أساتذة العربية، وإمام أهل السنة والجماعة في شبه القارة^(١٣) .

ولد محمد أحمد رضا خان فى الرابع عشر من شهر يونيو عام ١٨٥٦م بمدينة بريلى، وقد صنع لنفسه تاريخا أخذه من قوله تعالى : " أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه"^(١٤) .

تلقى محمد أحمد رضا خان العلم فى صغره وأول أمره على جده وأبيه، فعرف الأصول والفروع، والحقائق، والدقائق، وتردد على مجالس أهل العلم، ليجلس منهم

(١١) بساتين الغفران، ص ١٤١ .

(١٢) محمد أحمد رضا خان، حقائق بخشش، ط ١، ص ٨٠ (لاهور، ١٩٩٨م) .

(١٣) حازم محمد أحمد محفوظ، محمد أحمد رضا خان والعالم العربى، ص ٢٧ .

(١٤) سورة المجادلة، آية رقم ٢٢ .

مجلس التلميذ، وملك ناصية الأردية والفارسية والعربية، وكان والده يلقي به إلى الفارسية والعربية على الأخص، ويرى أن لا غنية لطالب علم عن العلم بهما. وهو في هذا من رآه على الصواب فقد جرت عادة العالم والأديب في شبه القارة بالاطلاع على ما كتب في هاتين اللغتين. فالفارسية لغة الشعر والأدب، والعربية في المقام الأول لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، والشرع الحنيف، ولقد تأتي له أن تكون له البراعة ورسوخ القدم في الفارسية والعربية فألف فيهما كما نظم الشعر الجيد.

أنشأ أبوه مدرسة لتعليم العربية تسمى «مصباح التهذيب» وكان محمد أحمد رضا خان التلميذ النجيب فيها. وبذلك يكون قد حصل العربية على يد أبيه ومدرسته، وكان ذلك عمدة السبب في اتساع باعه في العربية. وقد تجلّى ذلك بوضوح فيما أخرج من كتب بالعربية. فعبارتها جيدة وسبكها متين، وله فيها أشعار جياد بين دفتي ديوان بعنوان: بساتين الغفران، وفيها يبدو شاعرا يتقلب شعره الجيد في عدة فنون، ويتسم بالفصاحة والسلاسة والتجافى عن التكلف.

لقد أتقن العربية أيما إتقان، ولم يكن قد زایل شبه القارة. وبالذكر حقيق أن هذا الشغف بالعربية انتقل منه إلى ولديه حجة الإسلام الإمام حامد رضا خان، والمفتي الأعظم مصطفى رضا خان، اللذين تأسيا بأبيهما وضربا على قلبه. والظن أن أروع ما جرى به قلمه في الثر العربي مقدمة كتابه العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية، والسلسلة القادرية البركاتية بصورة الصلاة.

جاء في مقدمة كتابه ذاك^(١٥): «الحمد لله هو الفقيه الأكبر، والجامع الكبير لزيادات فيضه المبسوط، الدرر الغرر، به الهداية، ومنه البداية، وإليه النهاية، بحمده الوقاية. ونقاية الدراية، وعين العناية، وحسن الكفاية، والصلاة والسلام على الإمام الأعظم للرسول الكرام، مالكي وشافعي وأحمد الكرام، يقول الحسن بلا توقف، محمد الحسن أبو يوسف، فإنه الأصل المحيط، لكل فضل بسيط، ووجيز ووسيط، البحر الزخار، والدر المختار، وخزائن الأسرار وتنوير الأبصار، ورد المحتار، على منح الغفار، وفتح القدير، وزاد الفقير، وملتقى الأبحر، ومجمع الأنهر، وكنز الدقائق، وتبيين الحقائق، والبحر الرائق، منه يستمد كل نهر فائق، فيه المنية، وبه الغنية، ومراقى الفلاح، وإمداد الفتاح،

(١٥) العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية ص ٨٣، ٨٤ (لاهور).

وإيضاح الإصلاح، ونور الإيضاح، وكشف المضمرات، وحل المشكلات، والدر المتقى، ونبايح المبتغى، وتنوير البصائر، وزواهر الجواهر، البدائع النوادر، المنزه وجوبا عن الأشباه والنظائر مغنى للسائلين، ونصاب المساكين، الحاوى القدسى، لكل كمال قدسى وأنسى، الكافى الوافى الشافى، المصفى والمصطفى المستصفى، المجتبى المتقى الصافى، عدة النوازل، وأنفع الوسائل، لإسعاف السائل، بعيون المسائل، عمدة الأواخر وخلاصة الأوائل، وعلى آله وصحبه، وأهله وحزبه، مصابيح الدجى، ومفاتيح الهدى، لاسيما الشيخين، الصاحبين، الآخذين من الشريعة والحقيقة بكلا الطرفين، والختين الكريمين، كل منهما نور العين، ومجمع البحرين، وعلى مجتهدى ملتته، وأئمة أمتته، خصوصا الأركان الأربعة، والأنوار اللامعة، وابنه الأكرم، الغوث الأعظم، ذخيرة الأولياء، وتحفة الفقهاء، وجامع الفصولين، فصول الحقائق والشرع المذهب بكل زين، وعلينا معهم، وبهم ولهم يا أرحم الراحمين، آمين آمين، والحمد لله رب العالمين».

وبالنظر فى هذا النثر الفنى يستبين لنا أنه يتسم بالسلاسة والكلام فيه ينحدر فى ماء واحد أخذاً بعضه برقاب بعض دونما تكلف أو إقحام. إن جملة قصار على غير ما نصادف فى النصوص العربية المنسوبة إلى العرب، وسجعه يأتى عفوا والمعنى فى ظاهر اللفظ يدرك من غير كد للذهن وإعنات للروية. إنه خلو من البديع المتكلف لا إفراط فيه فى الصناعة، تلك الصناعة التى غالبا ما تطمس المعنى وتصرفه عن وجهه وتجعل الكلام تلعبا بالألفاظ يهمل فيه اللفظ، فاللفظ على قدر المعنى لا يكلف الكاتب اللفظ ما لا يحتمل من المعنى، ولو عقدنا الموازنة - مثلاً - بين هذا النص ونص فارسى من مناجاة عبد الله الأنصارى فى الفارسية، والتضرعات لسنان باشا التركية، أدركنا فى التو أنه يقتصد فى المجاز على حين يسرف عبد الله الأنصارى، وسنان باشا فيهما، وهو أميل منهما فى رغبته فى الإفادة، إنه لا يحاول فيه الفصاحة، إلا بمقدار، ولا يكره اللفظ على أداء المعنى، بل يجعل اللفظ على قدر المعنى.

إنه يركن إلى اللفظ والازدواج والسجعة عنده تتلو السجعة، ولكن عفوا مما يقوم دليلا على أنه بطبعه شاعر له القدرة على إحكام القوافى.

والترتيب بعد ذلك على شعره العربى نورد المثال منه ونغن النظر فيه. إن لشاعرنا ديوانا تحت عنوان بساتين الغفران، يقع فى ثلاثمائة وخمسين صفحة، ويستدل من عنوان الديوان على نوعية محتواه من الشعر. فهو مديح فى الرسول صلى الله عليه وسلم - وآل

بيته وصحابته رضى الله عنهم ، وكذا فى مدح أولياء الله ومشاهير معاصريه من رجال الدين ، فهو من غط الشعر الدينى ، صحيح النسبة إلى صاحبه ، وهو فقيه من أهل التقوى والورع ، وخلوه من فنون الشعر الأخرى فى الغزل والوصف - مثلاً - يستين منه أنه إنما شاء أن يعبر بشعره عن عاطفته الدينية ، وكره لنفسه أن يهيم فى كل واد ويخلق فى بعيد من خيال ، ولم يقل فى الغزل إلا أقل القليل من الأبيات ، وإن تعجب فعجب أنه بعد قوله لهما يتأثم مما قال كأنما وقع فى وزر لأن الغزل عنده يتنافى مع وقاره كرجل دين مرموق المنزلة . إنه يذكرنا برأى العلماء والفقهاء فى الشعر ، فها هو ذا من يقول :

ولولا الشعر بالعلماء يزرى لكنت اليوم أشعر من لبيد
كما روى عن بعضهم قولهم : «إن قول الشعر ينقض الوضوء» وإن قوله لا يليق
بالفقهاء . . يقول محمد أحمد رضا خان (١٦) :

بانث وما لانت فبانث لوعتى
يا خيبتى فى الصبر والكتمان
راحت أزمة راحتى من راحتى
وكذاك كل مودع الأخدان
ما مضمضت عيني بنوم مذ مضت
وكذاك كل مفارق الخلان
سامت فؤادى ثم لم تعط الثمن
ياليته اطرت بلا أثمان
لا تنجز الميعاد لكن لم أكن
لأعيبها كلا وما هو شانى
مه يا رضا يا ابن الكرام الأتقيا
يا غرس دوح العلم والإتقان
دع عنك هذا لست أهل بطالة
ونهاض إلى ما كنت فيه تضانى

(١٦) بساتين الغفران ، ص ٧٢ : ٧٤ .

لله درك يا نصيح نديمه
أيقظتني من غفلة الوسنان
أحسنت فيما قلت فاستردلتني
يسبل عليك الله ستر أمان

ونظر في هذه الطائفة من الأبيات من حيث المبنى والمعنى فنقول أول ما نقول إن مبناهـ
لا غبار عليه في العربية كما أن معناها مما نعهد ونعرف ونألف في الشعر العربي والفارسي
والتركي والأردى . إذا احتكمتنا إلى ملكتنا في التذوق لجمالية الشعر العربي ، ألفينا أنها في
بعض المواضع تبدو غريبة الوضع أو جديده على التذوق الفني .

إنها تذكرنا بأشعار من يعرفون بأصحاب اللسانين عند الفرس وفي طليعتهم الشاعر
سعدى الشيرازى ، فنحن نجد في أنفسنا هذا الشعور ، إذا قرأنا رثاءه لبغداد . إن الشاعر لا
يبدو في غزله متأثراً بشعراء الأدب الإسلامى ، ونعنى بهم شعراء الفارسية ، والتركية ،
والأردية ، الذين جرت عادتهم ، وما استطاعوا أن ينفكوا عن تلك العادة ، بأن يستهلوا
قصائدهم بالتغزل فى الشعر ، فما تغزل هؤلاء الشعراء فى شىء من محاسن المرأة ، ما
تغزلوا فى شعرها ، وهو شعر على الدوام ينفخ عطرا ، كما أنه نائر الغدائر متفرقها وهو فى
الأغلب قيود لقلب العاشق أو حباله يتردى فيها قلبه الولهان . وهذا قاطع الدلالة على أنه
قال فى الغزل رياضة ليس إلا ، وما انطلق فى ذلك على سجيته ولا استجاب لجلته . إنه
ليس من فرسان هذا الميدان ما فى ذلك من ريب وإن لم يعجزه أن ينظم فيه ، كما أنه مذكرنا
كذلك بشاعر تركى عراقى هو فضولى البغدادى فى شعره العربى فما قال شعرا فى الغزل ،
ولا تغزل فى شعر الحبيب الغريب ، بل قال فى غير ذلك من غرض ونحن نحكم على
شعره بهذا على قدر ما وصلنا من شعره العربى الذى قيل إن معظمه مفقود .

ويقول أحمد رضا خان فى الصلاة على النبى - صلى الله عليه وسلم (١٧) :

وصلاة ربى دائماً وعلى
خير البرية سيد الأكوان
صلى المجيد على الرسول وفضله
ومحبه ومطيعه بحنان

(١٧) بساتين الغفران ، ص ٨٨ .

صلى عليك الله يا ملك الورى
 ما غرد القمري فى الأفنان
 صلى عليك الله يا فرد العلى
 ما أطرب الورقاء بالأحان

إنه يعبر فى هذه الأبيات عن عاطفته نحو الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالصلاة عليه، إنه لا يصيب صفته، بل حسبه أن يفصح عن محبته له، ويريد أن تكون الصلاة عليه إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، ويصور هذه الديمومة بهديل الحمائى على الأغصان، فإنها لا تكف عن هذا من هديلها مادام فى البستان أغصان وللبناتين دوام البقاء مادام للأرض هذا الدوام. إنه يريد أن يشرك الناس قاطبة فى الصلاة على النبى .
 كما يقول متوسلا به صلى الله عليه وسلم (١٨):

الحمد للمتوحد .	بجـلاله المتفرد
وصلاة مولانا	خير الأنام
على	محمـد
فإلى العظيم توسلى	بكتابه وبأحمد
وبمن أتى بكلامه	وبمن هدى وبمن هدى
وبطيبة وبمن حوت	وبمبـر وبمسجد
وبكل من وجد الرضا	من عند رب واحد
قرآننا قرباننا	والله أقرب شاهد
وأدم صلاتك والسلا	م على الحبيب الأجود
واجعل بها أحمد رضا	عبدا بحرز

إنه يلوح به متوسلا إليه على أنه الشفيع المشفع عليه الصلاة والسلام، وهذا يستدل منه على فرط تعلقه بمحبته، ويستطرد به السياق إلى ذكر المدينة المنورة وفيها من آل بيته، وصحابته .

كما أنه يأمل أن يستجيب الله دعاءه ويجعل ذكر الكتاب المبين وسيلته إلى ذلك، كما

(١٨) بساتين الغفران، ص ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٩ .

يستحلفه بالروح الأمين عليه السلام ، والمنبر والمسجد ، وبكل مؤمن موقن فى مرضاة الله .
ويريد للصلاة على النبی دواما بغير منتهى .

وللسیاق أن یمضی بنا إلى توسل الشاعر بالإمام محیی الدین عبد القادر الجیلانی ، أملا
فى أن یؤیده فى دعائه الذى یتوق إلى أن یشعر مستجابا . إنه یعتز إلى أبعد مدى بهذا
الشیخ ویردد مدحه فى دیوانه العربی والأردی ، وها هو ذا یقول^(١٩) فیہ رضی الله عنه :

حمدا یا مفضل عبد القادر	یا ذا الأفضال
یا منعم یا مجمل عبد القادر	أنت المتعال
مولای بما مننت بالجلود علیه	من دون سؤال
امنن وأجب سائل عبد القادر	جد بالأمال

وبالنظر فى هذا الشعر العربی نلتفت فى التو إلى أنه من نمط مغایر لما نعهد من أنماط
الشعر العربی ، فهو من النمط المعروف فى الفارسیة بالمستزاد ، وفیه تزداد بضع جمل أو
ألفاظ على کل شطر فیہ ، ولابد أن تكون فى وزنها ورویها كالشطر الذى سبقها^(٢٠) .

وإذا أضفنا هذا المستزاد إلى ما أسلفنا ذكره من المخلص قلنا إن شاعرنا استخدم فى
الشعر العربی ما لا إلف لنا به ، وإنما أخذه عن الشعر الفارسی ، والأردی . وإذا احتكنا
إلى ذوقنا العربی وجدنا أن مثل هذا الكلام لا یقع موقعه عندنا ، وإن وقع موقعه فى الشعر
الفارسی والأردی والترکی . ولكن یعیننا من هذا الشعر أنه یشیر إلى منزلة عبد القادر
الجیلانی شیخه الموقر فیذكره بكل جمیل ویضفی علیه ما یضفی من توقیر وتقدير . ولا غرو
فهو يأخذ أخذه فى طریقته وهذا هو الحقیقة التى نسعى إلى تمثيلها من إیراد ذلك المثل من
شعره فى شیخه ، كما أنه فى منظومته السلامیة یمدح عبد القادر الجیلانی فى معرض مدحه
للأولیاء .

وهو القائل^(٢١) :

فمتی تلوذ بجأهه وتقول یا	الله یا رباه یا حنان
یا حق یا سبوح یا قدوس یا	من لا یسوغ لغيره سبحانه
کم نعمة أولیت ما أنا أهلها	ومنحت مجانا بلا أثمان

(١٩) بساتین الغفران ، ٢٠٩ .

(٢٠) حسین مجیب المصری ، تاریخ الأدب التركی ، ص ٤٣ (القاهرة ، ١٩٥١) .

(٢١) بساتین الغفران ، ص ٨٥ ، ٨٧ .

سمعا فؤادا ناظرا متكلما
وأجلها دين النبي المصطفى
أيقظتنى وأمتننى وعصمتنى
وإذا تجلى نور حسن المصطفى
أرني إذن قمرا تضاءل دونه
كل الكواكب واختفى القمران
فهذا ما يعرف في فنون الشعر بالابتهال ، والابتهال أخص من الدعاء في حديث شريف
(إن الدعاء مخ العبادة) ولكن الابتهال في نظرنا أخص من الدعاء ، لأنه الدعاء إلى الله
بإخلاص واجتهاد وتضرع .

والمعنى لا غبار عليه ، وإن كان اللفظ فيه مسحة من عجمة إلا أن ذلك متعارف مألوف
كما أسلفنا القول في الشعر العربي الذي تفيض به قرائح شعراء من غير العرب .
ومعلوم أن الابتهال رغبة في الإشارة إلى ضعف الإنسان أمام قدرة الرحمن ، وأن
المبتهل إنما يعتقد الأمل بغفار الذنوب وذلك من فرط محبته له ، إنه يلوذ به في محتته ،
ويريد له أن يكشف كربته ، وعليه فهو لون من التعبير عن عاطفة المؤمن الموقن الذي يأمل
من ربه أن يغتفر له السيئات ويحط عنه ما فرط منه في جنبه ، وهذا مظهر لتمام الإيمان
وذروة التقوى .

ويجري نفس المجرى قوله (٢٢) :

إلهي تجاوزت عن سيئاتي وأمنتني إذ تشيب الذوائب
فأني عبيد فقير ذليل وأنت الكريم الجلي
جد لي بجعلك كأسماء أصلي المـواهب

إنه في هذا الشعر يذكر أباه محمد نقي على خان وجده محمد رضا على خان ، وجده
العلی سعید الله خان ، كأنما يطلب الرحمة لهم جميعا معه في دعاء وابتهال .
وله رثاء في كثير من أقطاب التصوف الذين جلس منهم مجلس التلميذ ، فسمع منهم ،
وأخذ عنهم ، ومنهم الشيخ السيد آل رسول المارهروي (٢٣) :

خذ التاريخ في التوشيح نظما
يلوح كأنه البدر المنير

(٢٢) بساتين الغفران ، ص ١٧٤ .

(٢٣) بساتين الغفران ، ص ١٩٤ .

وخذ من كل قطر مثل سطر
تكن ستا وليس له نظير

ولى طاهر بر إمام
وصول طيب بدر أمير

وحيد طائع بحر إمام
ودود طائب بدل أجير

ويلحظ على رثائه أنه لا يركب الشطط فى المبالغات التى نصادفها فى الرثاء، كقول بعضهم إن السماء تمطر دما، ولا أن أركان الدنيا تهدمت، ولا أن البحار جرت دموعا. مثلا. فهذه مبالغات مرذولة إذا وضعناها فى قسطاس الذوق، كما أنه شعر فى التاريخ وهذا ما جرت به عادة الشعراء فى حين يرغبون فى تأريخ وفاة عظيم.

ونلتفت بعد ذلك إلى ما طلب منه بعض أهل العلم الذين أخرجوا كتباً دينية بالأردية فرغبوا إليه أن يكتب لها تاريخاً، فنزل على رغبتهم، إلا أنه نظم تاريخاً بالعربية، والنظم بالعربية فى مثل هذه المناسبات من الدليل على أن الشاعر يريد الإعظام والإجلال، وذلك بتعبيره بلغة كتاب الله المبين. ولقد عرف عنه أنه كان حاضر البديهة إلى حد بعيد فى التاريخ، فينظمه عفو الخاطر. قال فى تأريخ كتاب بعنوان: العسل المصفى فى عقائد أرباب سنة المصطفى (٢٤):

أكرم بنار ضوؤها يجلو الدجى
من أحمد النورى جاء مبينا
نور الهدى بحر التقى بدر النقى
أضحى له حفظ الإله معينا
مِنْ آل مَنْ رَضِيَ الْبَلاَ فى كربلا
من أهل من خلق الحسين حسينا
يا قوم هذا الحق، هذا المنتقى
هذا النجاة إن اتخذتم ديننا

(٢٤) بساتين الغفران، ص ١٦١.

عسل مصفى باليقين فلم يذر
بذواقه ظنا ولا تخمينا
قال الرضا أرخ رسالة سيدى
هذا هو الحق الصريح مبينا

وصاحب هذا الكتاب هو الشيخ أبو الحسين أحمد النورى الملقب ببيان صاحب القادرى : إن الشاعر يشير إلى نسبه وحسبه لأنه متصل النسب بالإمام الحسين- رضى الله عنه- ويلمح إلى أنه رضى البلاء فى كربلاء ولا عجب فى ذلك ، فإن واقعة كربلاء ومصرع سبط النبى - صلى الله عليه وسلم - فيها جعلت المسلمين أجمعين دوما على ذكر منها .
إن شاعرنا يميل إلى ذكر الصفات تكرارا وذلك ما يسترعى النظر فى شعره العربى على الأعم ، وكأما يريد بذلك تقوية ما يقصد إليه من معنى ، ولكن هذا التكرار إذا تجاوز الحد ربما شوه من جمال المعنى ، فحسب الشاعر أن يورد صفة أو أكثر قليلا ، وهذا ما يبلغ به مقصده على نحو أفصح وأوقع فى النفس . ويحتمل أن يكون راغبا فى التباهى بما فى جعبته من ألفاظ عربية ليؤكد أنه يملك ناصية لغة الضاد .

أما فن المديح فله فيه شعر ، إلا أنه لم يمدح عظيما طلبا للزلفى ، ولا أملا فى نوال ، فقد عفت نفسه عما لم تعف عنه نفوس الكثرة الكاثرة من الشعراء وآية ذلك ما قيل إن أحد أمراء شبه القارة استدعاه ليمدحه غير أنه أبى ذلك وكرهه كل الكراهة وما قبل أن ينقل خطاه إلى قصره .

لقد قصر مديحه على الأولياء وصفوة العلماء وهذا ما نقع عليه فى ديوانه الأردى على السواء ، لقد مدح ما يربو على عشرين من أهل العلم والفضل مثال ذلك قصيدة طويلة عصماء تحت عنوان : آمال الأبرار وآلام الأشرار^(٢٥) ، قال فيها :

بمجلسهم تحف طيور قدس
ولا يشقى بهم لهم قعيد
إذا حلوا تمصرت الفيافى
وحين ترحلوا الأمصار بيد

(٢٥) بساتين الغفران ، ص ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ .

أسمى بعضهم أسماء نظمي
فليس الكل يحتمل النشيد
بقية الأولياء أمين أحمد
أمين أحمد أمن حمود
شمائله تذكرنا الصحابة
سحائبه على كل تجود
وقدوة جمعهم تاج الفحول
أمام الحق ليس له نديد
وما أدراك ما تاج الفحول
بفضل المجد فضله المجيد
وعبد سيد صدر الفضائل
بذى صمد إلى الصمد استفيدوا
ومن للحق إن تنسب تقل إذ
نصير ذا وحيد ذا شهود
غلاما للحسين وللمظفر
عزيز الدين ذا عز يسود
وعبد المقتدر أقدرت قدره
رفيع فوق ما اغتاظ الحسود

إنه يجمع عددا جما من أهل العلم والفضل والدين ويخص كُلا منهم بعدد من الأبيات، والملاحظ أنه لا يمدحهم إلا بالتقوى وغزارة العلم، وبذلك يخرج عن المألوف المعروف في المدائح، وهو الوصف بالكرم أو الشجاعة وما إلى ذلك، فهذه نوعية من المدائح يختص بها وكأنما أراد أن يجعل لهؤلاء العلماء والفضلاء سجلا في قصيدته التي تجمعهم.

واتفق أن علماء أهل السنة قدموا من أرجاء البلاد واجتمعت كلمتهم على أن يلقبوا محمد أحمد رضا خان بالمجدد، وقد لزمه هذا اللقب الذي عرف به بين أهل زمانه وإلى يومنا هذا. وقد اعترز بهذا اللقب إلى حد أن شكر الله على نعائمه فمدح نفسه ولكن في

تواضع جم ولم يقل إلا حقاً ولم يذكر ضمير المتكلم كأن يقول^(٢٦) :

وعالم أهل سنة مصطفىانا
مجدد عصره الفرد الفريد

وأسفار بها إسفار صبح
متى يطلع فذا عيد سعيد

وفى أخرى يضرب على الوتر نفسه ولكنه يتجه بالكلام إلى نفسه وكأنما وجد دافعا
يدفعه إلى الرغبة فى المزيد فيقول^(٢٧) :

مه يا رضا يا ابن الكرام الأتقيا
يا غرس دوح العلم والإتقان

دع عنك هذا لست أهل بطلاة
وانهض إلى ما كنت فيه تضانى

إن المعنى الذى يقصد إليه فى هذا المثال وسائر شعره معنى لا غبار عليه، ولكن تعوزه
فى بعض المواضع القدرة على متانة السبك شأن جل شعراء الأعاجم الذين جرى الشعر
العربى على ألسنتهم، أو فاضت به قرائحهم، وله ولع مرموق بالبديع وهذا ما نعهد فى
شعر الأعاجم الذين يعجبون بمظاهر البلاغة فى شعر العرب. ويستخدم فى الأحيان
ألفاظا غير مألوفة، يستمدّها من محفوظه من اللغة العربية، ولكنه فى استخدامه لها
يختلف عن استخدام أهل اللغة العربية، فهى صحيحة فصيحة، ولكن المعول عليه هو
أسلوبها فى استخدامها.

وبالذكر حقيق أن ديوانه العربى الذى بين أيدينا لا يحوى كل ما نظم محمد أحمد رضا
خان فى العربية، ومازلنا نقع على جديد ومزيد، فمثال ذلك ما قام جامع الديوان بنشره فى
كتاب له تحت عنوان «محمد أحمد رضا خان»، والعالم العربى منها سبعة أبيات يمدح فيها
أباه وجده والإمام عبد القادر الجيلانى، كما أنه فى بيتين آخرين يتحدث بنعمة الله
عليه^(٢٨)، وتلك الأبيات ترشد إلى نوعية مدحه الذى ينحصر فى نطاق ضيق أراد ألا
يتجاوزه.

(٢٦) بساتين الغفران، ص ١٢٠.

(٢٧) بساتين الغفران، ص ٧٣، ٧٤.

(٢٨) محمد أحمد رضا خان والعالم العربى، ص ٤٣، ٤٤.

والترتب بعد ذلك على ديوانه الفارسي الذي جمعه ونشره العالم الباكستاني محمد مسعود أحمد، إنه ديوان لطيف الحجم ومع ذلك يتضمن من أطيب الكلام الكثير والكثير. لقد حصره في غرض واحد، هو مدح خير البرية - صلى الله عليه وسلم - وملحوظ أنه لم يتكلف بل انطلق على سجيته في سهولة ويسر كما أنه لم يجنح إلى غلو المداحين، ذلك الغلو الذي يجرحهم إليه ولوعهم بالتلعب بالألفاظ ونثر كل ما في جعبتهم من بديع، ومعلوم أن الإفراط في استخدام البديع يصرف المعاني عن وجهها، بل ويفضي إلى جعل الشعر صورة يغمرها فيض من الألوان والأشكال تنطمس تحتها معالم الحقيقة، وهذا ما كان محمد أحمد رضا خان يتجنبه، لأنه إنما عقد عزمه الأكيد على أن يقول حقا وصدقًا.

إنه لم يجنح إلى استخدام عبارات وإشارات المتصوفة بل شاء أن يتجه بما نظم في مدح الرسول إلى المسلمين أجمعين، إنه أراد أن يكون لكلامه أصداء مترددة بين الكثرة الكثيرة من المسلمين على اختلاف ألسنتهم، وذلك بعد أن نظم بالعربية ليشنف أذان أبناء الضاد، نظم بالفارسية ليفهم عنه من لسانهم الفارسية في إيران وتاجكستان ومن لهم علم بالفارسية في شبه القارة.

وهنا نرشد إلى أن العلم بالفارسية والاطلاع على آدابها كان ضرورة ثقافية لكل عالم وشاعر وأديب في شبه القارة، ولا غرو، فقد تأثر الأدب في شبه القارة بالأدب الفارسي في أعماقه وأبعاده، ووجد في شبه القارة من الفرس من كانوا من فطاحل شعراء الفارسية الذين هاجروا في العصر الصفوي من إيران واستوطنوها، بل نزيد الأمر إيضاحا فنقول إن اللغة الأردنية وهي لغة المسلمين، وعدد جم من غير المسلمين في شبه القارة منسوبة إلى الفرس، فلما فتح السلطان محمود الغزنوي شبه القارة بجنوده، والفارسية لسانهم خالطوا أهل البلد الذي فتحوه، وترتب على ذلك أن امتزجت لغة الفرس بلغة أهل البلاد مما أدى إلى نشأة لغة جديدة هي اللغة الأردنية، نسبة إلى كلمة أردو، وهي المعسكر في التركية، أي أنها نسبة إلى معسكر الفرس، أي إلى جند الفرس الفاتحين الذين كان للغتهم عميق أثرها في لغة أهل البلاد، إلى حد أن عرفت تلك اللغة الجديدة بلغة معسكر الفرس.

ومحمد أحمد رضا خان كداعية إسلامي إنما أراد أن يفصح عن رأيه ويعبر عن غرضه ويلقن هذا لمن يتلقون عنه حسب لغتهم.

إنه في ذلك يشبه محمد إقبال الذي كان له نفس الغرض، فنظم بالفارسية أكثر مما نظم

بالأردية، ليطلع على دعوته الإصلاحية من في شبه القارة ومن خارجها على سواء^(٢٩).
وهذا شأن الداعية الإسلامية الحق الذي يحمل في عنقه أمانة النزعة الإصلاحية الإسلامية.

إنه يبدو في هذا الشعر عاشقا للرسول صلى الله عليه وسلم، ويذكرنا بأن عشق الرسول يدفع عشاقه من الشعراء إلى أن يعبروا عن عاطفة المحبة نحوه.
وفي هذا الصدد يخطر بالبال شاعر تركي من أهل القرن الرابع عشر يسمى سليمان چلبى، له منظومة بعنوان المولد الشريف، ولنظمه إياها قصة تستطرف.
قيل: إن رجلا من أهل الشام كان يلقي السمع - ذات يوم - إلى واعظ في مدينة برصه يقول إنه لا يفضل محمدا صلى الله عليه وسلم على غيره من الرسل، فالرسل جميعا في الفضل سواسية، وحجته في ذلك قوله تعالى: ﴿لا نفرق بين أحد من رسله﴾.

وما مر هذا من كلام الواعظ بسمع هذا الرجل حتى أخذه مر الأسى كما اعتلج في صدره شديد الغضب إلى حد أن قتل هذا الواعظ ومر هذا الخبر بسمع سليمان چلبى، فوجد في نفسه دافعا جد قوى إلى ضرورة أن ينصفه - صلى الله عليه وسلم - ممن قصروا في جنبه وقالوا عنه ما لا يستقيم في العقل، فنظم هذه المنظومة معبرا فيها عن عاطفة المحبة نحو سيد الخلق - صلى الله عليه وسلم - وهو يسرد سيرته من لدن مولده إلى لحاقه بالرفيق الأعلى..

ويعتبر نظم هذا المولد تأييدا لأهل السنة، وتكئة اعتمدوا عليها في كل زمان^(٣٠).
إن كلا من هذا الشاعر الهندي والتركي يلتقيان على صنيع واحد، أو متشابه، وهو فرط المحبة للرسول - صلى الله عليه وسلم.

وندرك من كلام محمد أحمد رضا خان أنه عاشق صادق، لأن عشقه متعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم، ومن كل لفظ في كلامه يفوح شذا المحبة، ذلك الشذا الذي يعطر قلوب أهل لا إله إلا الله، كما تعمر به روح المؤمنين الموقنين، وكان له من عشقه للنبي رفعة الفكر وعلو المقام، واجتذب إليه القلوب وجعل العيون تفيض من الدمع^(٣١).
وفي عود إلى الشاعر التركي سليمان چلبى ومولده نقول: إن الترك إلى يومنا هذا

Bailey A History Of Urdu Literature PP 103, 104 Lshoe

(٢٩)

AHMED ATES, MEVLID. S. P 32 Istanbul. 1954.

(٣٠)

(٣١) أرمغان رضا، ص ٤، ٥ (لاهور، ١٩٩٤م).

يجتمعون فى شهر ربيع من كل عام ليلقوا السمع إلى من يرتل هذا المولد بصوت بلبل
فيقع الخشوع فى القلوب ، وتفيض من دمعها العيون .
وهنا ندرك كيف أن هذين الشاعرين بعشقهما للرسول صلى الله عليه وسلم كان لهما
أثرا ماثلا عند المسلمين .

ومن الباحثين من يدلى برأى فى النعت ، أى فى مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم -
فيستوجب فى مدح الرسول التزام التأدب ، وإقامة الفرق بين مدح الرسول وبين الغزل فى
القصائد والغزليات التى ألف الشعراء أن يقولوا ما نعرف ونألف من كلامهم فى تغزلهم
بالحبيب . بل ينبغى للشاعر أن يلتزم بما قاله الله فى حقه : ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ و﴿كان
فضل الله عليك عظيما﴾ و﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾ ، فالمدح وسيلة إلى
وصف فخر الكائنات ، والمعول عليه أن يدقق ويحقق فى وصف أحواله صلى الله عليه
وسلم ، فمثل هذا ما يزدان به شعره .

وهذا ما يتوضح لنا فى مدح محمد أحمد رضا خان فمدائحها لها من السيورة ما لها فى
أرجاء شبه القارة .

إن أحمد رضا بنظمه فى مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - إنما يريد أن يحرك
الشوق والأمل فى النفوس ، ويرقق من قلوب غلف ، وعليه فهو يتخذ وسيلته إلى هذا من
غايته بمدح الرسول - صلى الله عليه وسلم (٣٢) .

ونحن نؤيد رأى محمد أنعام الحق كوثر فيما ذهب إليه من أنه حقق بغيته من نظم مديحه
على نحو خاص يتجافى عن شطح بعض شعراء المديح وشططهم فى الوصف الذى لا
يستحب عند من خشعت قلوبهم لوصف النبى وأيقنوا أن ذكره على أى نحو كان ، لزام أن
يكون مختصا به دون من سواه وله خصيصة فترشد إلى القدسية والروحانية .

والنظرة فى ديوانه الفارسى ترشد فى التو إلى أن كلامه لا يبدو على حال من الحال
كلاما لشاعر ليست الفارسية لسانه ، فهو جيد العبارة متين السبك ، ونسوق الأمثلة لذلك
من منظومة تتألف من مقاطع يلتزم فيها ما يعرف فى الشعر الفارسى والتركى والأردى
بالرديف .

والرديف اصطلاحا كلمة أو كلام يلحق بآخر كل بيت يكرر فى المنظومة من بدايتها إلى

(٣٢) أرمغان رضا ، ص ٦ : ٨ .

نهايتها ، تلتزم قبله قافية موحدة ومعلوم أن هذا التكرار يكسب الكلام تأكيدا لمعناه وتعبيرا
عن الرغبة فى الإشارة إلى غرض أو معنى على التعيين والتحديد ، فضلا عن أنه يكسب
الكلام إيقاعا وتنغيما محببا وهذا ما لا إلف للعرب بمثله فى شعرهم ، يقول أحمد (٣٣)
رضا :

لتكن الروح والقلب منى فداء ، لسيد البطحاء ،
ولتكن هامة هذا المكدود القدم ، لسيد البطحاء .
لن تتسع قطرة لمديح الخضم ،
ولا لوصف رب سيد البطحاء .
من أجل رفع لزفرتى كالعلم ،
احشرنى تحت علم سيد البطحاء .
كان سليمان يقول بكل ماله من شوكة وعظم ،
سلطان الدنيا سائل سيد البطحاء .
ياخذنى البكاء والنحيب وأحترق بذياك الغم ،
رباه أبلغنى رحاب سيد البطحاء .
الحرقرة واللوعة وفرط الألم ،
ذاك بقلبي من أجل سيد البطحاء .
بلاء من الأولى وهول الأخرى المعتصم ،
فى ظل ذيل قباء سيد البطحاء .
طائر السدرة أول مـا ترنم ،
تغنى بخصال سيد البطحاء .
لم يكتثر لعروش كم وكم ،
حتى كان أعظم عرش موضع سيد البطحاء .
حبيب الله دليل الإسراء سيد الكونين ،
يا لها منزلة لم ينلها سوى سيد البطحاء .
دع عنك مثل (رضا) كل ما هو شاغلك ،
واطلب فى كل أمر لك رضا سيد البطحاء .

(٣٣) أرمغان رضا ، ص ١١ ، ١٢ .

فهذا مديح ولكن على نحو خاص ، لأنه مقرون بالابتهال والدعاء . . إن هذا الدعاء لا شك إقرار بالعبودية لرب العالمين ، وهذه العبودية هي الإيمان الحق الذى تعمر به قلوب أهل لا إله إلا الله ، إن الشاعر يفسر الحقيقة بالمجاز ، ولكن فى غير تجاوز لحد الحقيقة وكلامه من ألفه إلى يائه خلو من مصطلحات التصوف التى لا يحيط بشيء منها إلا الراسخون فى العلم .

إنه ينزل النبى - صلى الله عليه وسلم - منزلته كما يريد ليغفر الجبين أمامه لا تعفير ذل وخذى بل تعفير إجلال وإعظام وإكرام وتوقير وتقدير . . إنه يقول حقا وصدقا إنه يشكو عجزه ، من أنه عاجز كل العجز عن أن يوفى الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - حقه من مدحه ولا يبلغ فى وصفه مبلغا يرتضيه ، ويحسن التعبير عن ذلك برسم صورة للقطرة الصغيرة التى لا تتسع لتصور البحر الخضم ذى الموج الملتطم . ويريد ليكون مجاهدا فى سبيل الله تحت إمرة سيد المجاهدين ، ويحزنه أنه لم يحقق ذلك من شوقه وتوقه ، فيدعو الله أن يحشره تحت علمه فى يوم الدين .

كما يبين أن من لهم السلطان فى الأرض ومن تخر جباه الملوك عند أقدامهم لن يكونوا أمام الرسول الكريم إلا كذلك المعدم الذى يد يد به بالسؤال أملا فى نوال .

كما يتشبه بالعاشق الولهان الذى يتحرق شوقا إلى لقاء الحبيب البعيد وحبيبه هو خير البرية ، ويأمل لقاء يوم يشفع له عند ربه لتخط عنه خطاياهم ويغفر له من ذنبه ما تقدم وما تأخر .

إنه يعبر عما يموج بين جوانحه من تبايح الأسى ، وذلك لفرط هيامه بالرسول . إنه لا يفتعل هذا الحزن لأنه يقرن بينه وبين الشوق إلى الحبيب . وبعد أن يصف ما يكابد فيه من شوق يبتهل إليه ويريد ليتعلق بطرف قباءه مستجيرا مما ابتلى به فى دنياه وما يخشاه فى آخره .

ويتجه من بعد إلى طائر سدره المنتهى ويتمثله فى غنائه وتطريبه متغنيا بما للنبى - صلى الله عليه وسلم - من حميد الخصال ، ويريد بذلك أن يجعل الكون بأسره مادحا له . ويقول إن هذا الطائر لم يكثرث بالوقوع على عروش الملوك ، وأثر عليها أن يقف حيث يقف صلى الله عليه وسلم .

ويفضله على الخلق جميعا وقد اختصه الله تعالى بأن أسرى به ليلا ، وتلك منزلة لم ينلها نبى ولا رسول . ثم يختتم كلامه بذكر تخلصه وهو اسمه المستعار فى الشعر ، ويريد

ليقطع العلائق بينه وبين كل شيء في دنياه وحسبه أن يكون موصول الصلة بسيد مكة صلى الله عليه وسلم .

إنه لم يضرب على قالب المتصوفة في تعبيرهم عن عشقهم الصوفي كتعبيرهم عن العشق الإنساني ونزه كلامه عن هذا الصنيع خشوعاً أمام هيبة النبي ، وأراد لقوله أن يكون كلاماً يستقيم في العقل ويقع موقعه في القلب .
ويقول فيما يجري هذا المجرى (٣٤) :

(بعيد عن محلة صاحب الكوثر ، من لوعة القلب الدمع انهمر . في فراقك يا رسول الله ، لا قرار لقلب في بلواه ، لك لطف برضا دوما يدوم ، أنت يا مرهما لما في القلوب من كلوم . ما خلق الروح سوى الرحمن ، وما خلق كمثلك حبيب هو إنسان . منذ أقيمت للرسالة قصور ، كنت في مخدعها شمعة نور . حين خلق الربيع من حسنك الزهر ، خلق (رضاً) ليقول فيك الشعر) .

في هذه الأبيات أمانة من تأثره بالشعر الصوفي ، ولا غرو ، فمثله من رسخت قدمه واتسعت باعه في علمه بأصول التصوف واطلع على ما نظم شعراء الفرس والعرب وشبه القارة من شعر صوفي . فالمحلة في شعر المتصوفة بمعنى مقام العبودية (٣٥) .

إن شاعرنا يضمّر هذا المعنى في قرارة نفسه ، ويريد ليكون عبداً مطيعاً للرسول - صلى الله عليه وسلم - من فرط حبه له ، ولكن كلامه يرسم في الخيال صورة لمحلة الحبيب على الحقيقة ، وكأنما أراد الجمع بين الحسنين ، المعنى الصوفي الاصطلاحي والمعنى المعجمي الحقيقي .

إنه يجري على لسانه ما يجري على لسان المتيّم الولهان ، إلا أنه يركن إلى ذكر هذه المحلة التي تردد ذكرها في شعر المتصوفة وبذلك يؤكد له المعنى الذي يريد عنه إفصاحاً وإيضاحاً .

بعد الخيال سرعان ما يتجه إلى الحقيقة ، فيمدح الرسول بأنه حبيب الله وحبيب عباد الله ، وهذا ما تفرد به عليه الصلاة وأزكى السلام ، ولكنه لا ينفك عن خياله الذي يحلق به كل محلق ، فيفسر الحقيقة بالخيال وجميل منه أن يتخيل للرسالة صروحاً شوامخ وأن

(٣٤) أرمغان رضا ، ص ١٣ ، ١٤ .

(٣٥) د . سجادي ، فرهنگ لغات واصطلاحات وتعبيرات عرفاني ، ص ٣٩٧ ، الطبعة الثانية ، (طهران ١٣٥٤) .

يختصه بوصفه شمعة نور تنير في تلك الصروح وبذلك يسمو به إلى سمو منزلته ورفعة قدره صلى الله عليه وسلم .

وفي مختتم كلامه لا ينسى نفسه ، فيرد الباعث الذي بعثه على قول الشعر فيه إلى ما اتصف به من جمال حسي ومعنوي .

وينتهي ديوانه الفارسي برباعيتين لا يخرج فيهما عما تضمن شعره من صور ومعان أسلفنا ذكرها ووصفها .

ولقد نظم أحمد رضا فيما يعرف بالملمعات ، والشعر الملمع في الاصطلاح العروضي أن يقول الشاعر في الفارسية أو الأردية أو غيرهما ، شعرا يتضمن شطرا أو بيتا أو أبياتا بالعربية ، والأصل في كلمة ملمع من التلميع ، وهو أن يكون في جسم الفرس أجزاء تختلف في لونها عن لون جسده ، كأن يكون في الفرس الأبيض أجزاء سوداء ، وفي الفرس الأسود أجزاء بيضاء ، فأطلق هذا على الشعر على التشبيه .

وهذا في نظرنا من الدليل على ولوع أحمد رضا باللغة العربية التي يريد أن يقرن شيئا منها بالفارسية والأردية ، والهندية . إن شاعرا غيره من شعراء الأردية لا يشبهه فيما صنع (٣٦) .

شعره الأردى:

والقول بعد ذلك على شعر أحمد رضا في اللغة الأردية ، لأحمد رضا ديوان كبير في الأردية هو : « حدائق بخشش » أى حدائق الغفران ، يتألف من ثلاثة أجزاء ، طبع جزءان منه في حياته ، والثالث بعد أن استأثرت به رحمه الله ، وقد أعيد طبعه عشرات المرات في أحجام متفاوتة في شبه القارة .

وأول ما يلفتنا إلى هذا الديوان أن معظم ما انطوى عليه في مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - وآل بيته وصحابته والأولياء رضوان الله عليهم .

وأهل العلم في شبه القارة يجعلون لهذا الديوان منزلة لا تسامى ، ويعدون به بحق أفضل ما قيل في مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقد توفر كثير منهم على دراسته وشرحه وتفسيره ، ولعل أحراهم بالذكر العلامة فيضى أحمد الأويسى ، فقد أدخل ذرعه ليقدم شرحا يقع في خمسة وعشرين جزءا كبيرا تحت عنوان (الحقائق في الحدائق) . كما استمد المنتخبات منه العالم الجليل دكتور محمد مسعود أحمد تحت عنوان (انتخاب حدائق

(٣٦) جهان رضا ، لمريد أحمد الجشتى ، ص ١٨٩ (لاهور ، ١٤٠١هـ) .

بخشش).

أما المفتى محمد خان القادرى ، فقام بشرح كل بيت على حده شرحا وافيا جامعا مانعا ، فاستخرج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأصلها كما أرخ لما فيه مس الحاجة إلى التأريخ كالمغازى وما يتصل منها بسبب .

وكان صنيعة هذا موضع تقدير عظيم من أهل العلم كما اهتمت به الصحافة على أنه أمر ذو بال ، وله طبعة فاخرة فى باكستان تعد تحفة فى الطباعة ، وذلك قاطع الدلالة على أهمية هذا الكتاب ، وتفرد فى نوعيته .

والمنتخب من هذا الديوان طبع كذلك طبعة تليق بمكانة صاحبه ونفاسة ما بين دفتيه . وغير شك أن من ينتخب لابد أن يقع على خير ما ينتخب .

ويسعدنا بناء عليه أن نقول إن شعر هذا الديوان المنتخب يعد بحق أفضل ما فاضت به قرائح شعراء الأردية فى مدح خير البرية . فلم يبق إلا أن نورد منه الشواهد لتوكيد ما نذهب إليه .

(برمال صحراء العرب تشرق مرآة الصبح إذا أسفر ، أما ما تصاعد من دخان سرجهم فتطرية لجبين القمر . للربيع حلول فى كل بستان ، ولكن سرعان ما يدب فيه الذبول ، ومن عجب أن ربيع بستان العرب ليس له من خريف ولا من ذبول . عندما خرج يوسف الصديق بحسنه فى مصر على بعض النساء ، قطعن أصابعهن ، ولكن عشاق العرب وفرسانهم جعلوا الروح لك يا رسول الله الفداء . لرسول الله عبير فواح فى كل النواحي ، فى طيبة حيثما كان المسير تنسمت الجمال من هذا العبير . أنا الأعجمى رضا يا رسول الله ، حسبى من كرمك وتوسلا بما قلت فى مدحك أن أكون خادما لحسان شاعرك) .

هذه الطائفة من الأبيات فيها البرهان القاطع على أن أحمد رضا متأثر كل التأثر بالتراث الإسلامى بعامة وجانبه الدينى بخاصة . إنه فى حقيقة الحال يعبر عن الصلات الموصولة بين المسلمين أجمعين بفضل دين الله . إنه يعشق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من قلب موقن مؤمن وبالتالي يميل كل الميل إلى إخوته فى الدين ، وهم العرب . إنه فى نشوة حبه هذا يركن إلى التخيل والتمثيل ، وله التوفيق بلا ريب ، فى رسم صورة شعرية رائعة لها ما لها من وقع فى كل القلوب ، إنه لا ينسى شاعر النبى ، ويود ليكون شبيهه ، أى أنه يريد لنفسه أن يكون شاعر النبى - صلى الله عليه وسلم - وحقيقة الحال أن أحمد رضا لم يتجاوز الحد فى هذا ، من قوله لأنه كان شاعر النبى ، ولكن على نحو آخر ، فقد كرس شعره وكاد

يحصره حصرا فى مدح الرسول - صلى الله عليه وسلم . وهذا أمر له ما له من أثر .
إنه يحب العرب ولا غرو ، فمنهم سيد البرية - صلى الله عليه وسلم - ولقد أشرق نور
الإسلام فى أرضهم ، فما كان بدعا أن يهوى فؤاده إلى العرب وبلادهم وهكذا يجمع
الدين الحنيف المسلمين على صنيع واحد ، وهو تألفهم وتآخيهم .
(أنا من يهوى دنيا العرب ، ذلك أنها موطن سيد العرب ، أنا محب لكل شىء فى
دنياهم ، فحينما بلغت طيبة قبلت ترابها وطاب لى لثم ورودها بل وأشواكها . . إن كل
شىء فى دنياها أغبطه لوجوده فيها . إن حنينى يحن دوما إلى المدينة ، بل يزداد هذا الهيام
على مر الأيام . إن جنة الخلد نصيب من فى حب العرب يستشهد ، وكذا فيمن مدح سيد
الأنبياء .

إن الحزن يغشى فؤادى ولا ينفك عنى طرفة عين بعد أن فارقت أرض العرب . لا طاقة
لى بهذا الفراق) (٣٧).

إن الشاعر لا يكاد يجد كلاما ينطق عن سريره ودخيلة نفسه وهو يريد التعبير عن مبلغ
حبه لنبي العرب ، والعرب . إن المعنى كلما دق ورق تعسر أو تعذر عنه التعبير ، ومع ذلك
فأحمد رضا يذل وسعه فى تعبيره عن مبلغ حبه وهذا ما لا نذكر أننا وقعنا عليه فى كلام
شاعر من أهل لا إله إلا الله .

إنه فى ضرورة أن يفسر الحقيقة بالمجاز ولذلك يستعير منه مضطرا وقد عرفناه من قبل
ميا لا إلى بلوغ الحقيقة دون الأخذ بالمجاز ولكن ذلك الحب الذى ملأ رحاب نفسه جعله
مضطرا إلى أن يحذو حذو الشعراء العشاق ، والشاعر العاشق لا يقول إلا حقا ، وإن زحم
كلامه بالمجاز . فالمجاز فى هذا الشعر صنو للحقيقة ، وهو يساندها ويعاضدها .

ومما لا ريب فيه أنه أقام الدليل القاطع على أن الدين الحنيف جمع المسلمين أجمعين
على التعاطف والتآلف ، فكلامه صلة موصولة بينهم . إنه يشبه فى صنيعه هذا الشاعر
محمد إقبال ، ولكن إنصافا للحق نقول إن أحمد رضا كان أقوى عاطفة وأشد هياما وأميل
إلى الروحانية من المادية ، وكانت عاطفته أقوى من عقله فى حين كان محمد إقبال أميل إلى
التدبر والتعقل .

ويقول كذلك متعجبا متمثلا :

(٣٧) أحمد رضا خان والعالم العربى ، ص ١٥١ .

كيف تسألون عن وصول المصطفى إلى العرش، هذا ما لا يستطيع أن يجيب عليه كائن من كان، ففوق العرش يحترق للكيف الجناحان. إن العقول لفي حيرة في سرد قصص (دني) فاسألوا عن ذلك روح القدس، إن ذلك لسر خفي لا مجال فيه لعقل إنسان. لما سعدنا بوصول مصطفىنا في البستان، سرعان ما حانت ساعة الهجران ففاضت من الدمع العينان^(٣٨).

إن الشاعر مع أنه لا يملك جماحا لعاطفته الفياضة، يثوب إلى عقله في الفينة بعد الفينة، فيتفكر ويتدبر المعراج وكيف عرج به صلى الله عليه وسلم إلى العرش، فيشير إلى حقيقة لا ريب فيها، وهي أنه لما بلغ - صلى الله عليه وسلم - سدرة المنتهى مع جبريل عليه السلام، توقف جبريل ولم يستطع أن يتابعه وخشى أن يحترق منه الجناح، فمضى وحده، وتلك ميزة له، ما في ذلك ريب، إنه يعلل الحقيقة بحقيقة أخرى وهو يعبر عن عاطفته التي تندفق من كلامه تدفق الماء النмир من الغدير.

وهنا وقفة نقع فيها على ملحظ، فإقبال في كتابه «جاويد نامه» يتخيل أنه عرج به في السماء، أما هو فيقول باستحالة ذلك لأن جبريل نفسه وهو من هو لم يحقق من ذلك أربابا. ولنا بعد إيراد تلك الأمثلة من شعره في الأردية أن نقول: إنه في شعره الأردى كان معنيا أولا وبالذات في التعبير عن محبته للمصطفى صلى الله عليه وسلم، وهذا مديح، ولكنه يختلف عن المديح التقليدي الذي ترنم به شعراء المسلمين، إنه العشق في روحانيته الرقاقة ورقته التي بلغت المدى. وعليه فديوان حدائق بخشش - أي حدائق الغفران - حقيق بمنزلته الرفيعة التي له في الشعر الإسلامي. تلك حقيقة لا تحتل من شك ولا تأويل.

وقد انماز أحمد رضا بحدة الذكاء، وقوة الذاكرة، وذلك مما شكل ألمعيته وعبقريته، وعرف بذلك منذ صدر شبابه. ولقد تحدث كثير ممن جلس منهم مجلس التلميذ حديثا عجباً عنه، فأخذهم شديد العجب لشغفه بالعلم شغفا منقطع النظير. مثال ذلك ما قال الشيخ إحسان حسين، وكان زميلا له في دراسته إن أحمد رضا كان يقرأ على أستاذه مقدار ربع من الكتاب، ثم يعكف هو على قراءته واستيعابه، ثم يقرأه من بعد على أستاذه لا ينسى منه لفظا، ولا عبارة^(٣٩). مما يشهد له بقوة الذكاء فضلا عن شدة الميل لتحصيل العلم، ومعلوم أن شغف المتعلم بالعلم دافعه دفعا للنبوغ فيه.

(٣٨) أحمد رضا خان والعالم العربي.

(٣٩) محمد أحمد رضا خان والعالم العربي، ص ٣٥.

وبالذكر حقيق أنه فى عام ١٨٦٨ ، نال أحمد رضا إجازة الإفتاء من أبيه ، وفى العام نفسه توفر على التأليف والتصنيف ، ولما يتجاوز الرابعة عشرة من عمره ، وللهحق تلك إحدى المعجزات . وفى هذا يقول ما نصه^(٤٠) : «إن سيدى وأبى وظل رحمة ربى ، خاتم المحققين ، وإمام المدققين ، ماحى الفتن ، حامى السنن سيدنا ومولانا المولوى محمد نقى على خان القادرى البركاتى . أمطر الله تعالى على مرقده الكريم شأبيب رضوانه فى الحاضر والآتى ، أقامنى فى الإفتاء للرابع عشر من شعبان الخير والبشر سنة ١٢٨٦ من هجرة سيد الثقلين عليه وعلى آله الصلوات من رب المشرقين ، ولم تتم لى إذ ذاك أربعة عشر عاما من العمر» .

إنه ناصع البيان مستقيم العبارة واللفظ فى كلامه على قدر المعنى ، نشره العربى أصيل لا أثر فيه للعجمة .

وأحصى العلامة محمد مسعود أحمد تأليف أحمد رضا فى ضوء أقواله وأقوال معاصريه وصنفها ، فذكر أنه وهو فى الثلاثين من عمره بلغ عدد ما أخرج من كتب مائتين . وفى عام ١٩٠٩ كان عدد مؤلفاته ثلاثمائة وخمسين ، وهى خمسين علما وفنا ، كما ذكر ابنه حامد رضا خان ، أن عدد مؤلفاته يربو على أربعمائة ، وبعد أن أدركته المنية كتب تلميذه ظفر الدين بهارى ، يقول : إن له من المؤلفات ما يزيد على ستمائة . وذكر مفتى إعجاز ولى خان المتوفى عام ١٩٧٣ أن لأحمد رضا أكثر من ألف كتاب^(٤١) .

هذه أقوال متقاربة وحسبنا القول إنه كان غزير الإنتاج إلى أبعد حد ، وأنه أخرج كتباً فى خمسة وخمسين علما وفنا ، عين أسماءها بنفسه ، وتلك عبقرية نادرة لا مجال للريب فيها .

ويذكر أنه تعلم بنفسه من العلوم والفنون تسعة ، وتلك قدرة لا تتأتى لأحد إلا فى الندرة . وذكر أحمد رضا عدد ما درس من علوم وألف فيها لا مبالها ، بل محدثا بنعمة ربه عليه ، فقال : «وحاشا لله ما قلته فخرا وتمدحا بل تحدثا بنعمة الكريم» وهذا منه هو التواضع الحق ، فإن سعة العلم تدفع صاحبها إلى التواضع . إنه ليس متواضعا وحسب ، بل هو مؤمن بنعم الله عليه ، شاكر له على لطفه به ورعايته له .

وإذا أرخينا نظرة إلى عناوين مؤلفاته أدركنا فى التوأن صاحبها علم من أعلام الدين

(٤٠) محمد ظفر الدين بهارى ، حيات أعلى حضرت ، ص ٣٣ .

(٤١) محمد أحمد رضا خان والعالم العربى ، ص ٣٦ .

وفقيه من الفقهاء المجتهدين والعلماء والأدباء الأجلاء . وهو يختار عناوين عربية مسجعة ، لمعظم مؤلفاته جريا على عادة المؤلفين المسلمين ، ذلك أنهم فى اعتزازهم بلغة كتاب الله المبين يرون فى إطلاق الاسم العربى شرفا للكتاب ، كما أنه تقدم عن مؤلفى المسلمين خطوة ارتفع عنهم درجة فجعل هذه العناوين تدل على عام إخراجها وذلك بحسب الجمل .

أما أوسط وأشهر ما أخرج من مؤلفاته فكتاب «العطايا النبوية فى الفتاوى الرضوية» ، ويجمع بين دفتيه اجتهاداته الموفقة فى قديم المسائل وحديثها ، وذلك وفق المذهب الحنفى . وهذه الفتاوى فى اثنى عشرة مجلدا ضخما من القطع الكبير أما عدد صفحاتها فستة آلاف وأربعة وسبع وثمانين صفحة . وأعيد طبعها مرارا فى باكستان والهند .

وله «كنز الإيمان فى ترجمة القرآن» ، وهو ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردنية ، وكانت ترجمته له عام ١٩١١ ، وتعد هذه الترجمة من مآثره الخالدة على طول الزمان . وأبدى الإعجاب بها العلماء والأدباء فى شبه القارة . وأشادوا بما بذل من جهد جهيد فى سبيل إتقان الترجمة كل الإتقان ، حتى أبلغها درجة الكمال ، إنها قاطعة البرهان على رسوخ قدمه فى لغة الضاد ولغته الأم ، وعلمه بمعانى كتاب الله العزيز . كما أن فيها الدليل على سعة اطلاعه على التفاسير العربية والفارسية والأردنية ، وعلمه بما سبقت ترجمته إلى الأردنية . ولقد طبع «كنز الإيمان فى ترجمة القرآن» طبعات فاخرة عشرات الطبعات فى باكستان والهند .

وقبل وفاته بعام واحد ، وذلك عام ١٩٢٠ ، أخرج كتابا بعنوان «المحجة المؤتمنة فى آية الممتحنة» . أما باعثه على إخراج هذا الكتاب أنه استفتى فى حكم الإسلام فى تضامن المسلمين مع الهندوس تحت شعار القومية . وقد استفتاه كل من مولانا محمد على وشوكت على ، فأفتى فى جزم ويقين أنه لا سبيل إلى موالة الهندوس ، وهى حرام صراح ولو كان هذا المشرك أبا أو ابنا أو أخا أو ذا قري ، فقال : «إن الموالة مع المشركين - كل المشركين - حرام ، وإن كان أبا أو ابنا أو أخا أو قريبا لأحد» .

وكان لما ذكره فى كتابه هذا أعمق الأثر فى نفوس أكابر الزعماء فى شبه القارة . وقد اطلع العلامة محمد إقبال على تلك الفتى ، وأبدى كل إعجابه بها . وأفضى الأمر بالذين كانوا يميلون إلى موالة الهندوس إلى الإحجام عن ذلك ، واقتنعوا بفتوى أحمد رضا ، وتابعهم على ذلك زعماء الرابطة الإسلامية ، وفي طليعتهم محمد إقبال ، فنادوا بوجوب

إقامة دولة خاصة بالمسلمين فى شبه القارة . وعليه فهذا الكتاب كان الأساس الذى قامت عليه دولة باكستان .

وأحمد رضا على ما عهدناه فيه ، فقيه إمام بكل ما تنطوى عليه الكلمة من معنى ، إنه يدعو إلى هدى مغترفا مما وعاه من علوم الشرع وأصول الدين ، إنه صاحب ألف كتاب ، وهذه الكتب كلها أو جلها فى الفقه ، لقد عقد أكيد العزم على أن يبصر المسلمين فى أرجاء الأرض بدينهم على الصواب ، والصحة ، فما زلنا بين الصحيح وغير الصحيح؟ وبصر بالمأمورات والمنهيات ، وفرق بين المحرمات والمكروهات ، إنه ذلك الإمام الذى تصدر للفتيا . ولقد مر بنا كيف أن فتاويه اجتذبت إليه من ضربوا أكباد الإبل من كل فج و صوب ، كيما يجلسوا منه مجلس المريد من الشيخ ويسمعوا ما يصلح لهم دنياهم بدينهم . وهذا كله من شأنه ما لا إلف لنا به عند من سواه على قدر ما نعلم . إنه ألف وصنف ، وفى عين الوقت لم يشأ لعلمه أن يحبس بين دفتى كتاب وكفى ، بل تجاوز ذلك إلى ما هو أبعد ، فأصدر فتوى على نحو مطلق ونطاق أوسع .

إنه كداعية إسلامى صاحب نزعة إصلاحية يرى نفسه فى ضرورة أن يأخذ بيد قومه مؤتمرا بأمر الدين من خشية أن يتردوا فى هاوية أمامهم وهم يدجون من غفلتهم فى ليلة ليلاء . لقد ذهلوا عن أن الإنجليز المستعمرين يسرون فيهم سيرة الذئب فى الحمل لا يستجيرون عن ظلم ، ولا ينتهون عن عدوان . وكره لقومه من المسلمين ما ضربوهم عليه من خذى وذل وهوان . إنه كرجل دين مسلم يرى أن ذلك يتجافى عن الدين ولا يسع مسلما أن يخضع ويخضع لعدو دينه الذى يتخذ هزوا ، وأن يستأثر بخيرات أرضه وهو جبار فى هذه الأرض بل يرى أنه يحرم على المسلم أن يرتضى هذا لدينه وكرامته .

إنه شاء أن يعبر عن ذلك ولكن على نحو يحبسه إطار ، كيما يكون له كيان يبقى على مدار الزمان . إنه الشاعر المجيد ، ولذلك اختار الشعر أسلوب تعبير . وغنى عن الإيضاح أن المعنى إذا كان التعبير عنه بالشعر كان أعمق أثرا فى النفس وأرسخ فى الحفظ وتردد على الألسنة ، فكان له الدوام السرمدى .

مر بنا أن أحمد رضا خان استفتى فى حكم الإسلام فى تضامن المسلمين مع الهندوس ، ومع أهل الكتاب ، وها هو ذا يعبر عن ذلك شعرا ، وتلك ترجمتنا له :

ظلام بليل طويل طمس

من اللص فاحذر فكل نعس

ولص مريد وها قد برع
 من العين كحلا بها قد نزع
 خداعا له فاحذرن يا غرير
 سيرديك فاحذر بقاع الحفير^(٤٢)
 لتفتح من النوم تلك العيون
 عجبت عجبت أهذا يكون
 وأيقظت لكن لماذا الغضب
 أهذاك لوم أهذاك سب
 لهذى اليراعة نور ظهر
 وخفق بقلبي لهمس الشجر^(٤٣)
 سلكت طريقى وما من أحد
 ومأموله القلب ما إن فقد
 أيا قمرا فى سماء العرب
 أعنى أنا فى شديد الكرب
 إلهى فأنت عفوَ غفور
 لعفوك يا رب إنى فقير

هذه أبيات ينحو فيها «رضا» منحا مستطرفا مستظرفا، إنه يعرض عمن يريد بهم تعريضا من طرف خفى حتى لا يبدو عيايا ولا سبابا، بل ناصحا أمينا، يريد بالمسلمين خيرا، وذلك وهو يبصرهم بجوهر الحقيقة، إنه يشرح الحقيقة بالمجاز ويأبى أن يصرح بما تتأذى به النفوس من تبكيت وملام. فهو يتحدث عن نفسه وإنما يتجه بحديثه إلى غيره، يريد لقومه من المسلمين أن يأخذوا حذرهم من أعداء دينهم قاطبة، ويجرى على من يعادونهم من الصفات ما ينطبق عليهم بالتمام، رجاء أن ينبه إلى ما هم فى غفلة عنه.

إنه لا يريد لأحد ينصحه أن يكره منه ما يبذل له من نصح لأنه إنما يسعى إلى أن يجد له من أهل النهى أولى الأبواب من يلقون إليه سمعا ويدركون منه وعيا، فما بسط لسانه

(٤٢) الغرير: من لا تجربة له. الحفير: القبر.

(٤٣) اليراعة: حشرة تظهر ليلا يصدر منها نور. يريد بهمس الشجر حفيف الورق تمسه الريح.

بالعيب فى من يعينه بالذات ، بل جعل كلامه على الإطلاق ، وإن كانت كل القرائن تؤكد أنه يريد الإنجليز والهندوس . وتلك براعة منه فى التفكير والتعبير .

ومما يؤيد أنه قال ما قال على سبيل الفتيا ، وما للفتيا إلا علمه النافع وعقله الراجح ، أنه انطلق على سجيته وهو التقى النقى مداح النبى - صلى الله عليه وسلم - فطلب منه العون وسأله أن يكشف عنه السوء ، وهذا السوء ليس به فى حقيقة الحال وإنما بقومه ، وقد برح الخفاء . كما أنه يرفع يده إلى الله داعيا راجيا أن يحط عنه خطايا شأن كل مؤمن موقن صاحب عبادة ، وبذلك كانت لهذه الأبيات خصيصة على حدة ولا يدرك أنها فتوى من هذا الإمام يرفع بها اللبس ويعبر عن رأى الدين .

كانت نشأة أحمد رضا فى أسرة من أكابر العلماء ، علماء الأحناف ولهم أثرهم فى المجتمع الإسلامى فى أرجاء شبه القارة .

عقيدة أحمد رضا:

إنه سنى حنفى المذهب قادرى المسلك راسخ الاعتقاد ، وتجلّى ذلك بتمام الوضوح فى كل ما أخرج من كتاب وديوان .

واهتم معاصروه بدراسة عقيدته والكتابة عنها فى تحليل وتعليق واجتمعت كلمتهم على صحة تلك العقيدة ، وهو القائل فى ذلك وبعبريته الرصينة : « لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، الله أحد ، لا معبود إلا هو ، محمد - صلى الله عليه وسلم - رسوله الصادق ، آمنت به . ودينى هو دين الإسلام ، وكل معبود سوى الله تعالى باطل ، لا عبادة لغير الله ، المحيى هو الله ، الواحد والميت هو الله الأحد ، والمطر هو الله الفرد ، والرزاق هو الله الأحد ، الإسلام هو الدين الحق ، والأديان كلها غير الإسلام باطلة » .

إنه مؤمن موقن يعبر عن إيمانه بلغة القرآن معتزا بكتابه الهادى إلى مستقيم الصراط ، ولقد عرفناه متوسلا بالرسول - صلى الله عليه وسلم - محبا له ، ولعل فى ذلك أدل الدليل على تقواه وعلى أنه صاحب عقيدة وعبادة . كما توسل بآل بيته الأطهار ، وأصحابه الكرام ، وبالأولياء رضى الله عنهم أجمعين ، وتلك غاية الغايات فى تقوى الله ومحبة مصطفاه .

ولقد جلس منه مجلس التلميذ من أصبحوا من بعد من أقطاب العلماء ، فانتشروا فى البلاد من أقصاها إلى أقصاها ، وأقاموا المدارس والمعاهد الدينية فى مسعى إلى نهضة الإسلام وازدهار الدين الحنيف فى أكناف الأرض ، وقد وفقوا فى ذلك أيما توفيق . ولو

شئنا أن نحصى عددهم لما تحقق لنا ذلك لكثرتهم ، لكن ما لا يذكر جله لا يترك كله ، فمنهم على سبيل المثال :

الإمام حامد رضا خان ، والإمام مصطفى رضا خان ، والشيخ محمد ظفر الدين البهاري ، والشيخ السيد محمد ديدار على الوري ، والشيخ محمد أمجد على الأعظمي ، والشيخ نعيم الدين المراد آبادي . ولكل من هؤلاء حسن بلاء ورفعة قدر .

ارتحل أحمد رضا إلى أرض الحجار مرتين ، الأولى في عام ١٨٧٨ ، والأخرى في عام ١٩٠٥ ، ففي السفارة الأولى : خرج حاجا مع أبيه ، وهو في الثانية والعشرين من عمره ، وقد بلغ به الشوق مداه إلى زيارة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وفي طريقه من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة حن حنينه إلى زيارة روضة الرسول - صلى الله عليه وسلم ، فما صبر أن نظم بالأردية قصيدة في مدح الرسول مطلعها :

حجاج بيت الله هيا شاهدوا

هي كعبة أخرى حماها فاقصدوا

ولما قضى مناسك الحج وصل أسبابه بأسباب علماء الحرمين الشريفين ، وحرص كل الحرص على أن يتلمذ لهم . وأن يحصل منهم على الإجازة في علوم الشرع الحنيف . ومن هؤلاء العلماء الإمام السيد أحمد بن زيني دحلان ، الشافعي المالكي ، الذي أعجب الإعجاب كله بذلك الفتى النقى وهو في ريق شبابه ، فما كان منه إلا أن منحه الإجازة في الحديث الشريف . ولقد ذكره أحمد رضا من بعد بكل جميل يقر بفضل عليه . وتلمذ كذلك على يد الإمام الشيخ عبد الرحمان بن عبد الله السراج المكي مفتي الحنفية ، ورئيس العلماء بمكة المكرمة ، وتلمذ على يد الإمام الشيخ السيد حسين بن صالح جمل الليل المكي .

وفي هذا ساطع البرهان على شدة حرصه على أن يتلمذ لأكابر علماء العرب ، وليس يخاف ما كان لهذا من أثر في حياته الروحية والعلمية جميعا .

وأثناء مقامه بمكة المكرمة توفر على شرح كتاب بالعربية في الفقه ، عنوانه «النيرة الوضيئة في شرح الجوهرة المضيئة» وذلك دليل على سعة علمه بالعربية وشوقه الدافق إلى التأليف .

ولما عقد أخوه الأصغر محمد حسن رضا وابنه حامد رضا العزم على حج البيت عاده شوق إلى أداء فريضة الحج ثانية ، فاستأذن أمه في الخروج إلى الحج ، مما يدل على أنه كان

ابنا بارا بأمه بكل ما تتسع له كلمة البر من معنى ، مع أنه كان آنئذ فى الثانية والخمسين من عمره ، وخرج حاجا عام ١٩٠٥ ، وأمضى فى أرض الحجاز ثلاثة أشهر ، وقد سبقته إلى أرض الحجاز شهرته بالتقوى والعلم ، وانتظر علماء الحجاز مقدمه رغبة منهم فى التبرك به والإفادة من دينه وعلمه . ولقى أثناء مقامه هناك عددا كبيرا من جلة علماء الحجاز وعلماء الشام والمغرب ، وغيرهم . وبذلك تأتى له أن يجتمع بأكابر العلماء والفقهاء من شتى بلاد المسلمين ، ويقول فى ذلك شجاعة على القادرى ما نصه : «فى هذه الرحلة نشر الشيخ من الكرامة والرفعة والعظمة إلى حد لم يوفق إلى مثله أحد من معاصريه ، فقد أجله ووقره علماء مكة والمدينة وأشادوا ببراعته فى شتى العلوم والفنون ، وأعجبوا بزهده وتقواه وعدوا أنفسهم من زمرة تلاميذه وأيدوا أفكاره وتصدوا بالرد على مخالفه فى رأيه» .

وأثناء هذه السفرة نظم قصيدة فى المديح النبوى ، ولا غرو ، فهذا بسبب وجوده فى أرض النبى - صلى الله عليه وسلم - وقد عبر فيها عن شوقه وتوقه إلى زيارة الحرم الشريف .

كما قيل إنه رأى الرسول - صلى الله عليه وسلم - فى المنام وهو فى المدينة المنورة ، ومعلوم أن هذا من الله فضل عظيم ، فلا يرى الرسول فى المنام إلا صاحب إيمان راسخ وحظ عظيم .

إنه نشأ فى طاعة الله ولما وجد نفسه فيما يطيب به نفسا ويقر عينا ، ويحقق أملا عزيزا عليه أثر عليه ، ففاضت نفسه بهذا الشعر الذى كان صورة صادقة ناطقة بما يموج بين جوانحه .

وفى مكة المكرمة والمدينة المنورة تلبس ثلاثة أشهر حيث طاب له المقام فى ذلك الجو الروحى الحالم الذى يسعد فيه كل مسلم موقن .

وقد لفت إليه هذا من شأنه ابنه حامد رضا خان ، وكان راسخ القلم فى العربية فذكر ما نصه (٤٤) :

«كنت متشبثا بأهدابه وأذياله ، فرأيت ما خصه الله به من إكرام وأسبغ عليه من العطايا العظام . وأسبل عليه من الأنعام ببلده الحرام وبلد حبيبته سيد الآنام - عليه أفضل الصلاة والسلام - مدى الليالى والأيام - فبجله أهاليهما ووقروه وكرمواه وعلى أعدائه نصره ،

(٤٤) الإمام أحمد رضا خان والعالم العربى ص ٦٩ ، ٧٠ .

وقهروا المفسدين المارقين من الدين وهتكوا خيام خبثهم المهين ، فباءوا بغضب من الله وأصبحوا خاسرين ، وساء صباح المنذرين . وقابله العلماء الكرماء والأتقياء العظماء بكمال الإعزاز ونهاية الاحترام . وشهدوا له أنه السيد الفرد الإمام ، بل قبلوا أياديه والأقدام ، واستمعوا منه الحديث المسلسل بالأولية . واستجازوا منه بالصحاح والسنن والمسانيد والمصاحفات الأربع المروية ، حتى بايعوا على يده وانسلخوا فى السلسلة العلية ، القادرية الرضوية وكان ذلك كله دقة وجلة بالإصرار فوق الإصرار من صناديد لعلماء وكبار الكبار .

وهذا من قول ولده عنه دائم الدليل على أن أحمد رضا خان حين خرج للحج ثانية كان قد بلغ أوج شهرته كفقيه غزير المعرفة وعالم من علماء الإسلام الذين ذاع لهم الصيت فى الآفاق ، ولقد أثبت ذلك بالبرهان القاطع ، فلما عاشر العلماء فى مكة والمدينة ، وأخذ بأطراف الأحاديث معهم ، عرفوا فضله وأدركوا سعة علمه مما زين لهم أن يجلسوا منه مجلس المريد المتلقى من شيخه الواعظ الحكيم العليم ، ويضيف ابنه قوله فى هذا الصدد (٤٥) :

«حضرة المولى الحاج الشيخ أحمد رضا خان -أفاض الله علينا من شآبيب فيضه الموار ما ترنم به الهزار فوق الأزهار- فإنه أتم الله نوره وأدام جوده، لما من عليه الحبيب القريب المجاب المجيب -صلى الله تعالى عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه- وشرف وكرم بالحج مرة أخرى أحسن من الأولى ، أمطر عليه أمطار الكرم وأدام عليه ديم النعم فقربه به تقربا . ولا وحق الحق لم يطلب والدى شهرة فى الخلق . ولم يبلغ طريقا إلى تلك المسالك ولم يلق بالا إلى تسبب فى ذلك ، ولكن أراد المصطفى ومراد المصطفى لا يرى تخلفا فإن مراده مراد الله . . فمع حب والدى للعزلة ، وضع الله له فى أرضه القبول . فكأنما نودى فى مكة يا أهل الصفا ، اهرعوا فقد جاء عبد المصطفى . فرأينا العلماء إليه مهرعين ، وأكابر العظماء إلى إعظامه مسرعين فمنهم من يقتبس من أنوار علمه ، ومن يلتبس البركة فى لقاء محياه . وهذا جاء فسأل واستفتى ، وهذا جليل يعرض عليه ما كان أفتى . حتى إن الجلة الجليلة الممتازة طلبوا منه بركة الإجازة . ودخل كبار فى بيعة الطريقة . وقام مخدومو الكرام بخدمته الأنيفة ، حتى إن شيخا جليلا إماما مطاعا مهابا كبير الشأن عظيم المكان من أجلة

(٤٥) محمد أحمد رضا خان والعالم العربى ، ص ٧٠ .

علماء البلد الحرام المشار إليه بالأصابع بين الكرام ، سمعناه يقول له فى محاورته لما هوى أبى ليلمس ركبته : «بل أنا أقبل أرجلكم ونعالكم ، أكثر الله فى الأمة من أمثالكم» فرأينا بحمد الله رأى العين ما أخبر عن نبيه رب المشرقين إذ يقول : ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ .

ولا إخال إلا أننا كنا على الصواب الأصوب حين أوردنا ما قاله ابنه عنه واصفا إياه فى حجته الثانية ، لقد كتب عنه بعبارة عربية جيدة مسجعة فكان ذلك أشبه شئ بقصيدة يتغنى فيها بمدحه وبالإشارة إلى فضله وهذا ما يجدر به المقام .
وليس بخاف أن ما ذكره هو غاية الغايات فى التنبيه إلى رفعة قدره وعلو منزلته عند علماء الإسلام .

وبالذكر حقيق أنه أثناء مقامه فى مكة قدم عليه من علماء مكة ومن علماء المغرب على حد سواء لطلب الإجازة منه والجلوس منه مجلس المريد . وهذا ولا شك يزيد فى شهرته اتساعا ، وله فى الآفاق تقريرا .

ثم ارتحل إلى المدينة المنورة لزيارة الحرم النبوى الشريف ، حرم حبيبه المصطفى الذى يا طالما نظم المدائح فيه . وهناك استقبله العلماء بكل حفاوة ، ومنهم محمد كريم الله الفنجابى مجاور الحرم المدنى ، وقال له فى التوإنه مقيم بالمدينة المنورة منذ سنين ويقدم إليها من شبه القارة ألوف فيهم من العلماء وأهل التقوى والعبادة ما لا يدخلون تحت حصر ، وهم يطوفون فى طرق المدينة لا يلتفت إليهم ولا يعرفهم من أحد على حين رأى العلماء والعظماء يهرعون إلى لقاءه . وقد منحهم إجازته باللسان ، ذلك لأنه كان فى شغل شاغل عنهم بالرسول - عليه الصلاة وأزكى السلام - وهذا ساطع البرهان على فرط تعلقه بحبة خير البرية .

وفى سفرته تلك الثانية إلى أرض الحجاز ، رغب إليه العلماء أن يحقق مسألة علم المصطفى - صلى الله عليه وسلم - بالغيب ، فنزل على رغبتهم ووعدهم وعدا صادقا أنه سينجز ذلك فى أيام ثلاثة ، وباللغة العربية . وكان ذلك فى أربع بقين من ذى الحجة عام ألف وثلاثمائة وثلاثة وعشرين ، ثم أخرج كتابا أسماه «الدولة المكية بالمادة الغيبية» وهذا العنوان يستخرج منه تاريخ إخراج بحساب الجمل . ولقد جرت عادة الشيخ محمد أحمد رضا خان بذلك فى عناوين كتبه . مما يجعل لتلك الكتب منزلتها فى تاريخ يحددها لأجيال من بعد .

وقد صرح علماء الحرمين الشريفين باقتناعهم بما جاء فى كتابه وتقبلهم له بقبول حسن قاطعين الشك باليقين ، ويعد هذا الكتاب أول كتاب فى موضوعه فيه ما فيه من أدلة النقل والعقل فقرظه علماء الحرمين . بل إن مجلة تصدر فى سوريا تسمى البيان وهى مجلة علمية أشادت بقيمة هذا الكتاب ، وكان ذلك فى عدد صدر عام ١٩١٤ .

أما أثناء مقامه فى مكة فأخرج كتابا تحت عنوان «كفل الفقيه الفاهم فى أحكام قرطاس الدراهم» . وكانت له سيرورة فى الأوساط الفقهية فى الحرمين الشريفين . أما موضوعه فهو الإجابة على جواز استخدام الأوراق النقدية ، ذلك أن العلماء تضاربت أقوالهم واختلفت آراؤهم فى جواز ذلك فحسم الخلاف فى اثنى عشر مسألة . وطبع الكتابان السالف ذكرهما مرارا فى باكستان والهند . ونقل حامد رضا خان ابن الشيخ ، كتابه الثانى إلى اللغة الأردنية ليفيد منه من لا علم لهم بالعربية على النطاق الأوسع .

أما تلاميذه فى مكة والمدينة ، فعددهم يربو على ثلاثين منهم مفتى الشافعية بمكة المكرمة والمدينة المنورة ومفتى المالكية ، ومفتى الحنفية فى المدينة المنورة .

وهنا مجال الإشارة إلى رأى العلماء والفقهاء العرب الذين عايشوه وعاشروه .

يقول الشيخ تاج الدين الياس مفتى السادة الحنفية ما نصه^(٤٦) : «لقد اطلعت على ما حرره العالم التحرير ، والدراكة الشهير ، جناب المولى الفاضل الشيخ أحمد رضا خان ، من علماء أهل الهند ، أجزل الله مثوبته ، وأحسن عاقبته ، فى الرد على الطوائف المارقة من الدين ، والفرق الضالة من الزنادقة الملحدين ، وما أفتى به فى حقهم فى كتابه ، وهو تحت عنوان : «المعتمد المستند» ، فوجدته فريدا فى بابه ، ومجيدا فى صوابه ، فجزاه الله عن نبيه ودينه والمسلمين خير الجزاء ، وبارك فى حياته حتى يزيع به شبه أهل الضلالة الأشقياء ، وأكثر فى الأمة المحمدية أمثاله وأشباهه وأشكاله . . آمين» .

وهنا نقع على جديد متعلق بالشيخ محمد أحمد رضا خان ، فهو يتصدى للرد على أهل الضلالة فيحق الحق ويدفع الشبهات ويرد كيدهم فى نحرهم مستمدا من علمه الواسع بأصول الدين وحقائق أصوله ، إنه بذلك يعد داعية إسلامية بالمعنى الحق لأنه يصحح العقائد لأهل الزيغ ، ويكشف عن دين الله جهلهم بحقيقته ويدفع عنه سوء ما ينسبون إليه ويمحق مفترياتهم .

(٤٦) محمد أحمد رضا خان والعالم العربى ، ص ٩٤ .

وكان هذا صنيع الشيخ محمد أحمد رضا خان في شبه القارة الهندية، فكان يدعو المتشككين وأهل البدع إلى المناظرة فيلزمهم الحجة ويسلك بهم مستقيم الصراط كما يهديهم من ضلالة ويعلمهم من جهالة. ولقد أوجس بعضهم خيفة من مناظرته، وهم على يقين من أنه سوف يجيب عليهم بأجوبة مسكتة، ويلزمهم جادة الصواب. وغير شك أن تلك محمودة له ومنقبة تضاف إلى ما له من مناقب ومحامد، إنه لم يحصر جهوده بين دفتي كتب وكفى، بل تجاوز ذلك إلى أن يحهر بالحق وينشر العلم في دأب مرموق.

ويؤيد هذا مما نذهب إليه قول الشيخ السيد أحمد البرزنجي مفتي السادة الشافعية بالمدينة المنورة: «يقول المحتاج إلى عفو ربه المنجي السيد أحمد بن السيد إسماعيل الحسن البرزنجي - مفتي السادة الشافعية - في مدينة خير البرية - عليه أفضل الصلاة والتحية، إني قد وقفت أيها العلامة التحرير والعلم الشهير، ذو التحقيق والتحرير، والتدقيق والتجسير. . عالم أهل السنة والجماعة جناب الشيخ أحمد رضا خان البريلوي أدام الله توفيقه وارتقاءه، على خلاصة من كتابك المسمى بالمعتمد المستند، فوجدتها على أكمل الدرجات من حيث الإتقان والمتنقد، وقد أزلت بها الأذى عن طريق المسلمين، ونصحت فيها لله ورسوله ولأئمة الدين، وأثبت فيها - ببراہین - الحق الصحيحة».

والإشارة هنا إلى أن علماء العرب اعترفوا بمنزلة الشيخ محمد أحمد رضا خان على أنه إمام أهل السنة.

أما علماء الأزهر الشريف، فبدأت التفاتتهم إليه وعلاقتهم به من حين اطلعوا على بعض ما جرى به قلمه بالعربية في مؤلفاته، منها كتاب «الدولة المكية بالمادة الغيبية»، وبين يدنا لهم أربع تقارير لكتابه هذا، وهي لعالمين مصريين وآخرين عالمين من أهل الشام درسوا في الأزهر الشريف.

أما أولهم فهو الشيخ إبراهيم عبد المعطى السقا، وهو مدرس بالأزهر، وحفيد العلامة السقا، فقال: هذه رسالة جليلة المقدار، عالية المنار، جزى الله مؤلفها عن الدين الحق، والمشرع الصحيح خير الجزاء. ونفع بها كل من تلقاها بالقبول، وجعل مؤلفها على الدوام سيفاً مسلواً في رقاب أعداء الدين»^(٤٧).

إن هذا العالم إنما شاء أن يبدى رأيه في كتاب الشيخ محمد أحمد رضا خان الذي

(٤٧) محمد أحمد رضا خان والعالم العربي، ص ١٢٠، ١٢١.

أعجبه ، إلى حد أن صرح بأن الشيخ رد كيد أعداء الدين . وبذلك يتفق رأى عالم أزهري ، مع رأى عالم هندي ولا عجب ، فإن الدين الحنيف حقيق بأن يجمع المسلمين على رأى واحد . كما أن فى هذا ما يستدل منه على أن عقيدة الشيخ محمد أحمد رضا خان كانت عقيدة الأزهر ، ومعلوم أن الأزهر كان ومازال منارة لدين الله الحنيف .

أما الثانى فهو الشيخ عبد الرحمن أحمد خلف المصرى المدرس بالأزهر : قال : «لما من الله علينا بزيارة قبر سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، وذلك فى رمضان المعظم سنة ١٣٢٩ ، أطلعنى بعض أفاضل المدينة المنورة على هذه الرسالة المحررة المسماة «بالدولة المكية» لمؤلفها الفاضل أحمد أفندى رضا . جزاه الله أحسن الجزاء . ولعمري لقد جمع فيها من الأدلة ما به الكفاية . أيد الله علماء السنة والجماعة وخذل أهل البدع والضلالة» (٤٨) .

وهذا تقدير للشيخ محمد أحمد رضا خان فى تفكيره وتدييره ، وقدرته على إحقاق الحق ، وصرف العقول عن الشبهات .

والثالث فهو للشيخ موسى على الشامي الأزهري الأحمدي الدرديري الذى كتب عن الشيخ ومؤلفاته كتابة مستفيضة ، وذلك فى عام ١٣٣٠ ، ويعيننا مما كتب ما ذكر عن كتاب «الدولة المكية بالمادة الغيبية» فهو القائل : «اطلعت على هذه الرسالة المسماة «بالدولة المكية بالمادة الغيبية» فوجدتها شفاء ودواء لقلوب أهل الحق والسنة والجماعة . حاسمة لرقاب قرن الشيطان ذى الغواية والضلالة فجزى الله مؤلفها عن الإسلام والمسلمين أحسن الجزاء ومنحه فى الدارين إمداد سيد الأنبياء ، لأنه قام بنصر معجزة اطلاعه صلى الله عليه وسلم على الغيوب التى فاض بها الكتاب العزيز وصحاح الكبار حتى صارت كالشمس فى رابعة النهار . إمام الأئمة المجدد لهذه الأمة أمر دينها ، المؤيد لنور قلوبها ويقينها الشيخ أحمد رضا خان بلغه الله فى الدارين القبول والرضوان» (٤٩) .

فهذا الشيخ الأزهري من أهل الشام موصول الصلة بتلك الرسالة والتى أعجب بها أنه فى بلد نازح إلا أن شهرة محمد أحمد رضا خان بلغت بلده كما أن كتابه كان ريحانة أهل لا إله إلا الله ، إنه يجعل له منزلة المجددين لدين الله الحنيف فى عقول وقلوب أهل لا إله إلا الله ، من العرب والعجم على سواء .

(٤٨) محمد أحمد رضا خان والعالم العربى ، ص ١٢٢ .

(٤٩) محمد أحمد رضا خان والعالم العربى ، ص ١٢٤ .

أما رابعهم فهو الشيخ محمد الدمشقي مولدا الفلستيني مسكنا والأزهرى . فقد كتب عام ١٣٣٢ يقول^(٥٠): «سرحت الطرف فى هذا السفر الموسوم «بالدولة المكية بالمادة الغيبية» فإذا به الحق حقا والباطل زهوقا، وروضة فضل نطقت بيننا بالحق، جانبا جناه المستطاب، مشتملا مع صغر حجمه على ما لم يشتمل عليه أكبر كتاب . سلس العبارة مع وجازة الألفاظ . وناظم عقده، مرشد السالكين، العالم الفاضل الشيخ أحمد رضا خان الهندى البريلوى أسكنه الله الجنة بفضله وكرمه . . آمين» .

ونستنبط من قول هذا الشيخ أن الكتاب لطيف الحجم ولطافة الحجم دليل على أن مؤلفه إنما أراد الإفادة والإفهام ، ورأى أن كثير الكلام ينسى بعضه بعضا، كما أنه توخى عدم الإطالة حتى لا يضل الفهم فى متاهات . أما ولذلك قال عنه : إنه جمع من الفوائد ما لم تتسع له كتبأ عنى أصحابها بالإطالة التى ربما تبعث على الملالة ، وأراد لكلامه أن يكون واضحا لا يستغلق . وتلك صفة من يريد أن يفيد بعلمه ويؤيد رأيه ويدعو إلى ما ينبغى أن يقتنع به متلقيه .

إن القليل أمانة على الكثير فلنا أن نستدل من ذلك أن الشيخ محمد أحمد رضا خان كان حريصا كل الحرص على أن يلفت العقول إلى ما هو الحق والصواب ، إنه ليس مؤلفا ليس إلا ، بل مؤلف وصاحب دعوة وحامل أمانة .

وأقدم ما نظم بالعربية فى مدحه قصيدة طويلة فى ستة وخمسين بيتا نظمها الشيخ محمد على ، المدرس بالمسجد الحرام ، وابن الشيخ حسين المالكي مفتى المالكية ، وتلك القصيدة ضمن تقرير على كتاب تحت عنوان «حسام الحرمين على منحرك الكفر والمين» للشيخ محمد أحمد رضا خان ، وهذه أبيات منها^(٥١):

ذا خبرة مولى المعارف والهدى
رب البلاغة من به الدنيا زهت
ذا عفة ذا حرمة عند الملا
ذا فطنة منها العلوم تفجرت
أبدى معانى المشكلات بيانه
ببديع منطق الجواهر نظمت

(٥٠) محمد أحمد رضا خان والعالم العربى ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(٥١) المرجع السابق ، ص ١٠١ ، ١٠٢ .

محیی علوم الدین أحمد سیرة
عدل رضا فی کل نازلة عرت
مولی الفضائل أحمد المدعو رضا
خان البریلوی من به الخلق اهتدت
قالا وأنعم بالمحكم ذی التقی
فعلی تقدمه البرية أجمعت
أملی العلوم فهل سمعت بمثله
أملی وذا آیاته قد شوهدت

فهذا شعره لمن عاصره وهو يتضمن إشارته إلى فضله من حيث كونه من علماء الإسلام الذين استفاضت لهم الشهرة وأقر له أهل العلم والدين في بلاد الإسلام بسعة العلم والرغبة في نصره الدين .

ولأحمد رضا خان محمداً أخرى هي أنه عقد الصلة الوثقى بينه وبين علماء العرب ، وبذلك أبان على أن المسلمين قاطبة متآلفون متوادون متكاتفون في ظل دين الله ، فالإسلام كان جامعة جمعتهم وألفت بين قلوبهم .

وفي نظرة منا إلى ما جرى به قلمه من نثر وفاضت به قريحته من شعر خاصا بعلماء العرب ، نلاحظ أنه يبادلهم المحبة والتقدير والتوقير . والشأن كان كذلك في موقفه من تلاميذه العرب مما ينهض دليلاً على أن هذا الإمام كان بينه وبين العرب مودة ما في ذلك من ريب . وقد استبان ذلك بتمام الوضوح في حفاوته بهم وتقديره لهم وهو يلتقي بهم في أرض الحجاز .

إنه كذلك كان دائم الذكر لأهل العلم في مصر في الزمان الخالي من أمثال جلال الدين السيوطي ، كما أشار إلى الإمام البوصيري ، ولقب جلال الدين السيوطي بمجدد الأمة في عصره ، وأثنى كل الثناء على ما أخرج من كتب .

ولنا أن نورد أمثلة لأقواله في علماء العرب الذين ممن عاصروه وعرفوه . قال (٥٢)
«تفضل على المحدث الفاضل الكامل السيد النسيب الحسيب الأريب مجمع الفضائل منبع الفواضل ، مولانا السيد الشيخ محمد عبد الحى ابن الشيخ الكبير السيد عبد الكبير الكتاني

(٥٢) المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

الحسنى الإدريسي الفاسى ، محدث العرب ، بل محدث العجم والعرب إن شاء الله ، وأنا حل بالبلد الحرام لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين بعد الألف وثلاثمائة ، فأتانى وسمع منى الحديث المسلسل بالأولية ، وهو أول حديث سمعه من هذا العبد الضعيف كما سمعته من مولاي ومرشدى وسيدى وسندى وكترى وذخرى ليومى وغدى سيدنا الشاه آل رسول الأحمدي رضى الله عنه بالرضا السرمدي .

إنه ينزع نزعة واضحة لا خفاء فيها وهى الجمع بين المسلمين فى ظل الدين . إنه يريد لهذا المحدث المغربى أن يكون محدث العرب والعجم إن شاء الله . إنه يقر بأنه محدث العرب ولكن المأمول عنده أن يكون كذلك محدث العجم . إنه يريد للعجم والمسلمين أن تنعقد صلتهم بالعرب فى ظلال الدين ، وإن كان هو إمام أهل السنة فى شبه القارة الهندية . وقال فى السيد مأمون البرى المدني^(٥٣) : «العالم الأجل ، الكامل الأجل ، مورد الفضل السنى ، حضرة سيدى السيد مأمون البرى المدني . سألتنى بحسن ظنك بل لطيف منك ، إجازة الحديث وسائر مروياتى من قديم وحديث ، وما أنا فى غير العلم ولا نفير الفنون ، لكن الكرام حسان الظنون» .

إنه يوجه الخطاب إلى أحد تلاميذه بهذا الأسلوب الذى يدل واضح الدلالة على أنه جم التواضع ، وتلك شيمة العلماء والفضلاء .

وبعد أن ذكرنا ما قاله فى تلميذه ، نذكر ما قاله فى أستاذه الشيخ أحمد بن زين بن دحلان من أهل مكة ، فقد جلس منه مجلس التلميذ فى سفرته الأولى ونال منه الإجازة ، يقول^(٥٤) : «شيخ العلماء بالبلد الأمين الإمام المحدث الفقيه المولى السيد أحمد بن زين بن دحلان المكى قدس سره الملكى» .

لقد وصفه بأنه شيخ العلماء بالبلد الأمين والمحدث والفقيه . إنه يقر له بالفضل . إنه وفى له ولذكراه مقر بأنه علمه ما لم يك يعلم . وكان الشيخ محمد أحمد رضا خان مهتما بإهداء مؤلفاته إلى علماء العرب ، طالبا إليهم أن يكتبوا عنها ، رغبة منه فى استطلاع رأيهم فى رده على المارقين من الدين . إنه يؤمن بضرورة مشاركة غيره له فى العلم ، خصوصا من العرب . تعف نفسه عن أن يستأثر برأى لا يقع موقع القبول عند غيره من العرب .

(٥٣) المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

(٥٤) المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

ولقد مدح فى شعره العربى بعض علماء العرب ، وهذا كان تعبيرا عن محبته لهم لا رغبة فى نوال عظيم من العظماء ولا مجاملة لأحد يخطب وده أو يتملقه ، ولذلك يعد هذا الشعر من قبيل تجديد موقفه من العرب .

ويذكر أنه أثناء مقامه من أرض الحجاز فى حجته الثانية قال أبيات من الإخوانيات عندما امتنع الشيخ صالح كمال المكى عن زيارته فى مكة ليومين اثنين^(٥٥) :

هذان يومان ما فزنا بطلعتكم
ولو قدرنا جعلنا رأسنا قدما

قالوا لقاء خليل للخليل شفا
ألا تحبون أن تبروا لنا سقما

عودتمونا طلوع الشمس كل ضحى
وهل سمعتم كريما يقطع الكرما

هذه أبيات جياذ رقاق تنطق عن صفو المحبة وكرم الصحبة والعلاقة الواشجة بين أهل العلم من العرب والعجم ولا غرو فقد قيل إن العلم رحم بين أهله ، ولكن الشيخ محمد أحمد رضا خان ، يتجاوز ذلك إلى قوله إنه لا يستطيع صبرا عن زيارة خليله له ، بعد أن جمع الدين القويم بينهما فى تلك المودة الصافية الدافقة .

وبعد عمر امتد به خمسة وستين عاما تنبأ هذا الإمام بأن الموت مدركه فى عام عينه ، وبما عجا لنبوءته التى صدقت ، وهذا من الدليل على صفاء روحه وقدرته على المكاشفة ، فمن المعلوم أن كائنا من كان يعجز العجز كله عن تعيين ميقات لوفاة حتى ولو كانت وفاته وشيكة الوقوع ، ولكن هذا من شأنه يلمح إلى أن له صفة قريبة الشبه بصفة الأولياء التى لا يشاركهم فيها من سواهم . بل لنا أن نقول إن هذا منه كان من الكرامات .

فى الثالث من شهر رمضان عام ١٣٣٩ للهجرة الموافق العاشر من شهر مايو عام ١٩٢١ - أى قبل وفاته بأربعة أشهر واثنين وعشرين يوما - بادر إلى استخراج عام رحيله بحساب الجمل من قوله تعالى : ﴿ ويطاف عليهم بأنية من فضة وأكواب ﴾ ، وعلى هذا الحساب يكون عام وفاته ١٣٤٠ للهجرة .

ففى يوم الجمعة ، الخامس والعشرين من شهر صفر عام ١٣٤٠ الموافق الثامن والعشرين

(٥٥) بساتين الغفران ، ١٥٩ .

من شهر أكتوبر عام ١٩٢١ ، فاضت روحه الطاهرة ، ودفن في مدرسته بمدينة بريلي ، وتحولت هذه المدرسة إلى مسجد يضم مرقده الذى يزوره اليوم من يتبركون بزيارته وهم من أرجاء العالم الإسلامى .

ولما شاع خبر وفاته هرعت حشود من العلماء والأدباء والفضلاء ورجال السياسة للسعى فى جنازته . وشوهدت الطرق من مدينة بريلي إلى الميدان الفسيح المخصص لصلاة العيدين مكتظة بالمشيعين ، وفى هذا الميدان أقيمت عليه صلاة الجنازة .

كما سارعت الصحافة فى أرجاء شبه القارة الهندية إلى نشر خبر وفاته مع التعريف بمنزلته الرفيعة فى الدين والعلم ووصف وفاته بأنها تركت فراغا جديدا عظيما هيبات أن يملأه أحد سواه .

ومن مستطرف ما يروى أن شيخا فى فلسطين سأل عن الإمام محمد أحمد رضا خان البريلوى ، من يكون ، فقليل له إنه عالم من أهل الهند مقيم فى مدينة تسمى بريلي فصيح منه العزم على أن يرتحل إليها ، ولما قدمها جعل يسأل عن داره ليزوره فيها ، فقليل له إنه لقي ربه منذ شهر ، إلا أنه مضى إلى داره والتقى بأهله ، وقال لهم إنه لا يريد إلا أن يخبرهم خبرا ، هو أنه رأى الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيما يرى النائم ، وكان حوله جمع من صحابته ، واتفق أن سأل أحدهم من تنتظرون يا رسول الله فرد - صلى الله عليه وسلم - قائلا : إنه فى انتظار محمد أحمد رضا خان البريلوى^(٥٦) ، وسأل أهل الشيخ محمد أحمد رضا خان ، هذا القادم عليهم متى رأى هذه الرؤيا فحدد وقتها بنفس اليوم الذى مات فيه الشيخ .

وهذا خبر ورد فى أكثر من عشرين كتابا ، وما من ريب فى أن هذا كله من الدليل على أنه كان صاحب كرامات وكرامات ، وذلك مشهور فى شبه القارة وفى غيرها من بلاد الإسلام . وما من ريب فى أنه برهان ساطع على منزلته فى بلاده وفى آفاق البلاد الإسلامية .

أما بعد أن ظهرنا على منزلته الرفيعة لدى أبناء وطنه وغيرهم من المسلمين وعرفنا آراءهم فى فقهه ، وعلمه وأدبه مما يدل على تعدد الجوانب فى تراثه الذى تصدى له بالدراسة ، فللسياق أن يمتد بنا إلى ضرورة التعرف إلى رأى معاشيه ، ومن جاءوا بعده ،

(٥٦) بدر الدين أحمد ، سوانح إمام أحمد رضا ، ص ٣٩١ : ٣٩٣ ، ط ٧ (سكهر ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م) .

الذين قتلوا تراثه بحثاً ودرسوه دراسة تفكر وتدبر ، بذلك تكتمل صورته على الحقيقة فى أذهان المسلمين فى الغابر والحاضر .

ولنبداً بالالتفات إلى رأى العلامة «محمد إقبال» ، أما قوله عنه ورأيه فيه على وجه الإجمال فهو قوله ^(٥٧) : «إن شبه القارة الهندية من أقصاها إلى أقصاها لم يولد فيها من يشبه أحمد رضا خان فى عبقريته التى لا وجود الزمان على أحد بما يدانيها ، وهذا واضح بالوضوح الأتم فى فتاويه . إنها شاهد صدق على حدة ذكائه وعمق تفكيره فى تدبر ما يبدى الرأى فيه على أنه الفقيه الحق بالمعنى الأصح الأدق ، الذى تضلع من شتى علوم الدين على نحو لا نصادفه عند غيره .

إنه دأب على تعميق التفكير والتأمل قبل الإعلان عن رأيه ، فهو لا يبدى رأيه من فراغ ، بل على النقيض من ذلك ، يلتمس إليه كل وسيلة لترجيح ذلك الرأى . وترتب على ذلك أنه عرف فى جزم ويقين أن رأيه هو الصواب الأصوب ، ولذلك فإنه فى غنية عن الرجوع عما قاله فى شتى الفتاوى . ويسعنا قولنا إنه يعد أبا حنيفة فى عصره الحاضر . وكافينا أن نقول إن الإشارة إلى رأى إقبال فيه وهو من هو فى رجاحة العقل ونفاذ البصيرة مما تغنى فيه الإشارة عن العبارة .

والنقلة بعد ذلك إلى السيد عبد الحى اللكهنوى يقول ^(٥٨) : «إنه كان عالماً رزق التبهر فى شتى العلوم والفنون ، واسع الاطلاع إلى الغاية ، قلمه سيال ، وفكره عميق فى التأليف . . أما علمه بالفقه الحنفى فلا نعرف له ندا يشبهه أو يقاربه فى إحاطته به . ويستدل على ذلك بالنظر إلى مجموع فتاويه ، وكذلك فى كتابه : «كفل الفقيه الفاهم فى أحكام قرطاس الدراهم» ، الذى أخرجه فى مكة المكرمة ، كما أنه كان راسخ القدم فى الرياضيات وعلم الهيئة ، وله الإمام بعلم الجفر والرمل» .

ويذكر أن هذا العالم الذى شهد له بما شهد كان يخالفه فى مذهبه ويستين من ذلك أنه آثر أن يقول الحقيقة ، بحذافيرها ، فما نطق عن الهوى ، وذلك ما يلزم منه أن يكون قوله هو الحق والصدق .

ومن خالفوه فى الرأى كذلك من يسمى أشرف على التهانوى ، ولكن حينما مر بسمعه

(٥٧) عابد أحمد على (دكتور) ، مقالات يوم رضا ، ج ٣ ، لاهور نقلا عن شجاعة على القادري ، من هو أحمد رضا البريلوى الهندى ، ص ١٣٨ .

(٥٨) عبد الحى اللكهنوى ، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ، ج ٨ ، حيدرآباد ، ١٩٧٦ ، ص ٤٠ .

خبر وفاة أحمد رضا ترحم عليه وقال : «إنه خالفنا في رأيه ، ولكننا لا نرى في ذلك بأسا ولا يغض هذا الخلاف في رأى من أنه صاحب رأى لازم أن يعتد به ، ويميل إليه من يميل كما يميل عنه من يميل ، لأن وجهات النظر لابد أن تتباين ، وبغير هذا التباين سيصيب العلم الجمود والجمود^(٥٩)» .

وقال فرمان فتحبوري ، وهو من أساتذة الأدب الأردى : «إن شبه القارة أنجبت أعظم العلماء المتصلعين من شتى العلوم بيد أننا لا نقع فيهم على شاعر من الطراز الأول إلى كونه علامة في العلوم الإسلامية . وقد وجدنا هذا في أحمد رضا خان ، ولقد تبوأ منزلة رفيعة في الشعر ، وبذا شخصية أحمد رضا خان تعد مباينة لشخصية سائر علماء شبه القارة . إنه من علماء الدين الحنيف ، غير أنه شاعر المديح النبوى الشريف ، بخاصة . وتلك منزلته في الأدب الأردى . إن ما نظم من شعر يمتدح به خير البرية - صلى الله عليه وسلم - يقع موقعه العميق في قلوب مسلمى الهند . وعلى ذلك إذا نظرنا في مدائحه النبوية أيقنا أنه أعظم شاعر امتدح رسول الله - عليه الصلاة والسلام - ، إن له الدرجة على جميع معاصريه من الشعراء في هذا الفن من فنون القريض . وما يؤيد ذلك ويؤكد أنه الشاعر محسن الكاكورى ، وهو من مشاهير شعراء المديح في عصره تأثر به ، وضرب على قالبه في مدائحه . أما خصائص مدائح أحمد رضا النبوية فمتسمة بالوضوح . فمعانيها في ظاهر ألفاظها ، وغرض الشاعر يدرك في غير عسر ومشقة . وهذه ميزة جعلت شعره شعرا يفهمه ويتذوقه المتلقون على تفاوت حظوظهم من علمهم . وحسبنا أن نشير إلى أن مدائحه تنشد في المحافل الدينية الخاصة ، وندوات السيرة النبوية العامة . وإذا سمعها المسلمون استخفهم الطرب وبلغ مبلغه العجب ، ولسنا نعرف ولا نكاد ، مسلما في شبه القارة ليس في محفوظه أشعار مما فاضت بها قريحة أحمد رضا خان في مديح سيد الأنبياء - صلى الله عليه وسلم» .

فهذا الأستاذ من أساتيد الأدب الأردى لا شك ، يقول ما يقول على علم وبصيرة ، وقوله يظهرنا على حقيقة منزلته في الشعر لدى من صناعته أن يتوخى شرح الحقائق على نحو يصح في فهم من يلقون عنه .

ويقول شاعر الأردنية ماهر القادري^(٦٠) : «إن أحمد رضا مجمع العلوم الإسلامية

(٥٩) جهان رضا لمؤيد أحمد الجشتى ، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(٦٠) نور محمد القادري ، أعلى حضرت كى شاعرى بر ايك نظر ، ص ٢٥ ، ٢٦ ، (لاهور ، ١٤٠١ هـ) .

والعربية ما فى ذلك من ريب، إلى كونه على علم واسع بالرياضة. وكان شاعرا له أشعار جياذ إلى جانب ثقافته الإسلامية الواسعة. لقد قال فى المديح النبوى، ولكن على نحو خاص، فما ركن إلى النظم فى هذا الفن إلى الشعر الرمزي المجازى. وفى هذا الصدد يذكر أن حسن رضا خان الأخ الأصغر لأحمد رضا خان وهو شاعر مجيد وتلميذ لشاعر الأردية الأشهر داغ الدهلوى- أستاذ العلامة محمد إقبال- هذا الشاعر قرأ ذات مرة مطلع قصيدة فى شعر أخيه على أستاذه داغ، فأعجب بها الإعجاب كله، كما أخذه العجب فقال: أفى الإمكان لعالم عظيم من علماء الدين أن ينظم مثل هذه القصيدة.

إن مقولة هذا الشاعر تدل على أن صنيع أحمد رضا مخالف للمتعارف المألوف، فرجال الدين فى الأغلب الأرجح قلما نصادف فيهم ملكة شعرية، لأنهم فى شغل عن الشعر بالنظر فى شئون الدين. وعليه فأحمد رضا خان جمع بين الجسنيين، وذلك ما لا نصادفه إلا فيما ندر.

وقال بعضهم معبرا عن وقع شعر أحمد رضا عند العلامة محمد إقبال: «اتفق فى عام ١٩٢٥ أن جمعية سيالكوت الإسلامية أقامت حفلها السنوى تحت رئاسة «محمد إقبال»، وأنشد منشد مدحة مما نظم أحمد رضا، وجاء دور إقبال فى إلقاء كلمته، فقال بيتين عفوَ الخاطر فى نفس البحر والريـف فى قصيدة: أحمد رضا^(٦١).

وهذا ما نستبين منه أن إقبالا لا ريب تأثر بما سمع إلى حد أن فاضت قريحته على البديهة بشعر فى شبه مما قال أحمد رضا خان.

وهنا نقف وقفة لنقول إن ما أسلفنا إيراده من آراء فى «أحمد رضا خان» منسوب إلى من عايشوه فترة من الزمن، كما أن منهم من قال ما قال بعد مرور فترة وجيزة على مماته. وعرف الشعراء علو قدره ورفعة ذكره، فمنهم من قال فيه قصيدة عصماء بالعربية، وهو محمد حسين إقبال القادري، وهى فى ديوانه حديث النفس^(٦٢)، وتقع فى قريب من خمسة وأربعين بيتا:

العلم أغلى من عقود جمان^(٦٣)
والفقه يضعف عزة الإنسان

(٦١) نور محمد القادري، أعلى حضرت كى شاعرى برايك نظر، ص ٢٧.

(٦٢) بساتين الغفران، ٣٨-٤١.

(٦٣) الجمان: اللؤلؤ أو كرات من فضة.

والسعى فى تحصيله من أشرف الآ
 مال توصلنا إلى الرحمن
 يا أيها المزجى المطيعة سادرا
 قف بالمجدد وارث النعمان (٦٤)
 واسمع لما يلقى إليك ولا تكن
 مستنكفا فتعود بالحرمان (٦٥)
 سلم على رمس دفين فيه بح
 رزاًخر للعلم والعرفان (٦٦)
 سلم على نبع السنأى أحمد رضا
 ومن الغواية منقذ الإخوان (٦٧)
 ولدته أم حـاصن فى بلدة
 تزهبه زهوا على البلدان (٦٨)
 عرفت بريلى فى البلاد بأن فيـ
 ها مضجعا للعالم الربانى (٦٩)
 من أجله جادت عليها مُزنة
 من رحمة الجبار بالتهتان (٧٠)
 هو درة فى مفرق الدنيا وتا
 ج كرامة من خالص العقيان (٧١)

-
- (٦٤) المزجى : من يسوق دابته . السادر : من لا يبالى . النعمان : هو الإمام أبى حنيفة النعمان ، لأن رضا خان أصدر فتاويه على وفق مذهبه .
 (٦٥) مستنكفا : عدل وانصرف .
 (٦٦) الرمس : القبر .
 (٦٧) السناء : الرفعة .
 (٦٨) الحصان : بفتح الحاء ، المرأة العفيفة .
 (٦٩) بريلى : اسم مدينة فى الهند .
 (٧٠) المزنة : السحابة . التهتان : سقوط المطر .
 (٧١) العقيان : الذهب .

نجم الهدى غواص بحر حقيقة
أعداؤه لا ريب فى الخسران
ومتترجم القرآن فى أردية
قد ضم فيها كل حسن بيان
بحاسن الأدب العظيم مليئة
صفحاتها ومعارف القرآن
فى نسج قافية عديم مثله
أسنى مدائح صاحب الفرقان (٧٢)
مدح الرسول بضوء آيات الهدى
جعل المديح حدائق الغفران (٧٣)
غنى بشعر سلامه كل الأنا
م برغبة واهتزاز كل جنان (٧٤)
قد صنف الكتب النفيسة فى العلو
م بدت محاسنها من العنوان
لم يمدح يوما بنى الدنيا ولم
ينظم ليأخذ نائل السلطان (٧٥)
ومزين منذ الطفولة بالحيا
ء وكان أذكى من بنى الإنسان
وغدا يفيض على الأنام علومه
فى صورة الإفتاء بالبرهان
ويعلم الإخوان درس محبة
من قبل قد تركوه بالنسيان
نصر النبي مدافعا عن عرضه
بلسانه فى السر والإعلان

(٧٢) أسنى: أعظم.

(٧٣) حدائق الغفران: اسم ديوانه الأردى.

(٧٤) الجنان: القلب.

(٧٥) النائل: العطاء.

ودعنا إلى حب النبي وآله
 أبناء إسلام بكل مكان
 فتبادر العلماء نحو خوانه
 وجنوا على قدر الفهوم معاني
 وردت عليه من العباد بكثرة
 كتبٌ بها استفتاءهم وتهاني
 يقضى لطلاب العلوم حوائجا
 يملئ بكل صراحة وحنان
 في الاقتصاد وفي السياسة ماهر
 لبق وفي الإخوان ريب زمان
 وبغير خوف ملامة أفتى بأ
 ن الهند دار السلم والإيمان
 كشف القناع عن الوجوه وقبحها
 أصحابها لجأوا إلى الشيطان
 ونسو كتاب الله واتخذوا الهنو
 د وليجة ونهوا عن القربان (٧٦)
 فاستنقذ الإخوان من شرك الهنو
 د مبغضا من دولة الطغيان (٧٧)
 ونهى جميع المسلمين ولاء أه
 ل الكفر متكلا على الرحمن
 فخبت مكائد حاسدى «أحمد رضا»
 من بعد ما ضربوا بسوط هوان
 كم من فقيه ذى العدالة صالح
 أغناه ما أفتى فقيه زمان

(٧٦) القربان : المراد قربان البقر .

(٧٧) دولة الطغيان : دولة الإنجليز .

هو عارف بشريعة وطريقة
شهدت برفعة قدره الثقلان (٧٨)
سلم لأهل محبة وصداقة
حرب لأهل الزيغ والكفران
لطف بأرباب الحقيقة والتقى
قهر لأهل الظلم والعدوان
فى الفقه والآداب والإحسان والـ
تقوى لعمري فائق الأقران
دانت لسؤدده جميع خلائق
هو سؤدد فى الفقه والعرفان (٧٩)
تهتز روح أبى حنيفة غبطة
بفعاله والعارف الجيلانى
أنا من مريديه الذين تشرفوا
بلقائه أعطيت ما أغنانى
فعليه رحمة ربه وسلامه
ما غرد الأطيوار بالألحان
ما دام تلمع فى السماء نجومها
أو تبسم الأزهار فى البستان

هذه قصيدة عصماء ، ما فى ذلك من ريب ، وأن تفيض بها قريحة غير عربى تدل على كثير . إنها فى لسان عربى مبين ، عبارتها جيدة ، وسبكها متين ، ومما تنماز به أننا لا نكاد نقع فيها على بيت يستغلق ، ولا على أثر لتكلف أو تعسف أو نحت من صخر وتلك هى صفات وسمات الشعر الجيد الذى ينزل فى العقول والقلوب منزلا مكينا .
أما ما قصد إليه الشاعر من نظمها فنستبين منه أنه جديد خارج عن مجرى المألوف ، نريد بذلك لنقول إنه مدح له خصيصة على حدة ، فالشاعر يعلم فى جزم ويقين أن «رضا»

(٧٨) الثقلان : الإنس والجن .

(٧٩) السؤدد : الرفعة . العرفان : التصوف .

أعرف من أن يعرف ، وأن فضله معلوم لا تمس فيه حاجة للتذكير به . ولذلك نحى جانبا كل أو جل ما درج الشعراء على قوله فى مدائحهم من كلام يجنحون فيه إلى التتميق والتزويق والخروج من الحقيقة إلى الخيال ، ومنهم من ركن إلى أن يحاول أو يتكلف البلاغة فضاعت فى كلامه معالم الحقيقة ولم يحمل كلامه على محمل الجد ، فضلا عن أن الشاعر إنما عقد أكيد عزمه على أن يعرض علينا صورة لشيخه ، هذا الإمام محاطة بإطار ضيق يبرزها ويجليها للعقول والأفهام . إنها صورة ناطقة عن حق لا يحتمل من شك ولا تأويل . لقد أراد أن يؤرخ «لرضا» ووفقه الله إلى هذا التأريخ إلى أبعد مدى ، وليس من تجاوز الحد فى كثير ولا قليل ، قولنا إن من قام فى نفسه أن يتعرف لهذا العلم من أعلام الإسلام فى العصر الحاضر ، كافيه أن يرخى نظرة إلى هذه القصيدة ، ليقع على كل ما أسدى رضا إلى الدين والعلم مما يعد تراثا إسلاميا لعالم جهبذ نحير له الفضل على ما أورثه للدين والعلم ، وما يتصل بذلك من سبب .

ولنا بعد هذا الإجمال أن نأخذ فى شىء من التفصيل ونقف عند أبيات من تلك القصيدة متأملين متفكرين متدبرين ، كيما ندرك ما تأتى للشاعر أن يشير إليه فى لمحة خاطفة دالة على قدر ما تتسع له قيود وحدود يلتزم بها من يعالج نظم القريض .

إنه على غير ما كان متوقعا ، لم يضرب على قالب شعراء الأردية ، والفارسية من استهلال قصيدته بما يسمى اصطلاحا بالتشبيب ، وهو التمهيد بالقول فى الغزل ، أو وصف الطبيعة وما أشبه ، وإنما كان ذلك منه رغبة أكيدة صادقة فى أن يقول ما هو الحق كل الحق فيما يتعلق بأحمد رضا ويجعل من قصيدته أشبه شىء بوثيقة تاريخية تقرأ عنه على مر الأعوام .

إنه يشير أول ما يشير إلى العلم ، ولا عجب ، فمدوحه من أجلة العلماء ما فى ذلك من مراء . فتمهيده بذلك دليل على ما إليه قصد من ذكر له وتبصير به .

إنه يمتدح العلم وما قال إلا حقا وبين كيف أن طلب العلم عبادة ، وذكر ضمنا بأن العلماء ورثة الأنبياء ، وبذلك عقد الأصرة بين العلم والدين .

وجميل منه أن يتمثل من يسلك طريقا فى سفر بعيد لا يلتفت إلا إلى أن يطوى مراحل له ونبهه أن يتمهل ليقف وقفة عند أحمد رضا ، لأنه ذلك الذى جدد فى تفهيم الدين واختهد برأيه فكان مع النعمان خير خلف لخير سلف .

إنه يوصى هذا الذى يسلك تلك الطريقة الطويلة ، ولعله متأثر بالسالك أو الصوفى

الذى يسلك طريقا تعددت مقاماته أو مراحلها ليصل إلى العالم الأدنى .
إنه يريد له أن يقف على مزار شيخه خاشع القلب يطلب البركات ، ويذكر ما كان له من
مكرمات ، وهذا من حق شيخه عليه . وجميل منه أن يشبه القبر بالبحر ، مع أن البحر لا
يكون فى قفر ، فهو بحر معنوى لا كالبحار .

ثم يذكر صفات ممدوحه على التدريج ، فيقول أول ما يقول إنه بعلمه هاد إلى مستقيم
الصراط ، لأن المسلمين أخذوا عنه دينهم وحسبه هذا ليعرج فى سماء الرفعة ويحسن الله
له المثوبة .

إنه يرى أن مسقط رأسه «بريلى» بلدا يجدر بالشهرة المستفيضة لأنه يشرف منتسبا إليه .
إنه يدعو إلى بلده بالسقيا ، وأن تغمره شآبيب الرحمة كرامة له .

إنه مزهو به ، يصفه بكل جميل فى كلام قليل المبني غزير المعنى . ويلمح إلى أنه - شأن
كل عظيم - لا يعدم من ينفس عليه علو قدره أو من يخالفه فى رأيه .

ولا ينسى عظيم فضله فى نقله معانى كتاب الله المبين إلى اللغة الأردنية ، وهو بعنوان :
«كنز الإيمان فى ترجمة القرآن» ، لقد سبق أن ترجمت معانى القرآن الكريم إلى الأردنية غير
مرة ، ولكن يستبين من إشارة الشاعر إلى تلك الترجمة أنها الترجمة الفضلى والمثلى ، ولها
درجة على ما سواها . ومعلوم أنه أحسن فى هذا أيما إحسان ، ولا يخفى السبب ، فلزام أن
يكون واسع العلم بلغة القرآن وأحكامه من جهة ، وتضلعه من العربية والأردنية على حد
سواء .

ويتداعى فكر الشاعر ، فبذكر القرآن يذكر من نزل عليه القرآن عليه أذكى الصلاة وأتم
التسليم . وهذا متوقع ، فمن المعلوم أن رضا أشهر من مدح النبى - صلى الله عليه وسلم - ،
فليس عجبا أن يقترن ذكره بذكر خير البرية فى هذا الصدد .

ويشير إلى ديوانه فى الأردنية وهو بعنوان : «حدائق بخشش» بمعنى حدائق الغفران :
وهذا الديوان من ألفه إلى يائه فى مدح الرسول وآل بيته والأولياء وبعض شيوخه الذين
أخذ عنهم .

ويفضى به الكلام إلى ذكر منظومته الموسومة «بالمنظومة السلامية» على أنها أروع وأشهر
ما مدح به النبى - صلى الله عليه وسلم - ولها من المنزلة فى نفوس المسلمين ما ليس لها
لسواها . وعليه ، فنسبتها إلى شاعريته وتقواه ومحبته للنبى لا ريب فى عداد مناقبه ويلتفت
إليه بعد ذلك كعالم نحير من علماء الدين يؤلف ويضيف ويجتهد برأيه ويصحح ويبين

الحق من الباطل ، مستندا إلى علمه الواسع وفقهه الذى اشتهر به فى الآفاق . ويضيف إلى ذلك أن البراعة كانت له فى اختيار عناوين كتبه ، فعنوان كل كتاب دليل على ما بين دفتيه ، وهذه العناوين بحساب الجمل مما يشهد بأنه أراد لها تأريخا ، أى تثبيتا ، مما يعين على شهرتها والالتفات إلى عظيم قيمتها .

وذكره بصفة العلماء الأجلاء وأعظم الشعراء الذين تعف نفوسهم عن الوقوف على أعتاب أهل الجاه والسلطان أملا فيما يبدلون من جزيل لأنهم منصرفون عن دنياهم إلى آخرهم ، وعندهم أن للدنيا عرضا زائلا إلى فناء ، فهم زاهدون فيها يحقرون من يتهافت عليها .

أما فقهه الذى مكنه من أن يتصدر للفتيا ، فذكره وذكر فتاويه التى عرفنا ما عرفنا من دلالتها على سعة العلم وصحة الفهم والاجتهاد الموفق الذى يرفع اللبس ويهذى من حيرة ، ويثبت من تردد ، والفيصل الذى يحسم النزاع بين المتنازعين ، ويرد إلى المحبة والصفاء المتخاصمين .

وهو يتمثله فى مجلس علمه الذى يتزاحم فيه أهل العلم سامعين منه آخذين عنه مستفيدين .

وفى عود إلى ذكر فتاويه نقول إن المسلمين على تفاوت حظهم من علمهم كانوا يكتبون إليه متسائلين مستنصحين وبذلك يكون علمه على المشاع بين الناس فى أرجاء الأرض ، وفى هذا ما فيه من دليل على اشتهاره بتضلعه وتبحره .

ولقد أجمع علماء شبه القارة على تلقيبه بالمجدد . أى أنه جدد تفكير المسلمين فى أمور دينهم ، أى بدلهم بما كان فيه سهو أو خطأ ما هو الصواب الأصوب ، فكتبوا إليه يزفون إليه التهانى .

وينتقل بنا الشاعر إلى ما ربما فاتنا الانتباه إليه ، وهو إحاطته بعلم شتى وأمور أخرى كأن يقول إنه كان على علم بالاقتصاد ، وله البصر بالسياسة التى تستوجب الحنكة وحدة الذكاء فى مواجهة شتى المواقف والتصدى للملابسات ، والتقلبات ، ومثل هذا لا يقتدر عليه إلا قلة ضئيلة ممن أخلو ذرعهم له والاشتغال به . ذلك أنهم يحملون أمانة ففى يدهم مصائر الشعوب يوجهونها الوجهة التى فيها الحكمة وفيها اجتلاب النفع واجتناب الضرر .

ويرمق وطنه الهند بنظره ويختصها بفكره فيقول إنها دار السلم والإيمان بما فيها من مؤنين متوادين متراحمين . وهو منفرد بهذا من رأيه عن آراء الغير من عايشوه . بيد أن رأيه

صادف هوى فى نفوس زعماء الرابطة الإسلامية ، وهى حزب سياسى إسلامى تزعمه محمد على جناح وقد نادى هذا الحزب بقيام دولة خاصة بالمسلمين على أن يسعوا فى ذلك دون أن يركنوا إلى العنف . وذلك بمقتضى ما أراد أحمد رضا وأوصى به .

وبفضل أحمد رضا ، حصص الحق وزهق الباطل ، ذلك أنه عارض من لزموا جانب الهندوس فى حزب المؤتمر ورغبوا إلى المسلمين أن يكفوا عن ذبح البقر لأن الهندوس يقدسون البقر .

إن رأيه ومعارضته لذلك جرأة فى الحق لأنه واجههم فى معتقد دينى هم به معتزون ، وعليه يثبتون ، وكره للمسلمين أن يشتركوا مع الهند وينضموا إلى جانبهم فى تعاون معهم . وفى الوقت عينه أعلن عدم التعاون مع الإنجليز وكرهه كل الكراهة . وهو فى إعلان رأيه متكلم على ربه معتصم بدينه لا يهرب بطش أولى القوة وأصحاب السلطان . وبناء على ذلك كله رد السهام إلى النحور ، وجعل كيد معانديه فى تضليل ونصره الله نصرا مبينا .

وعرج من بعد على الإشادة بعلو كعبه فى الأدب وسعة باعه فى علوم الدين ، ورفع منزلته فى التقوى . وفى ذلك كله برز على من سواه غير منازع . إنه من بعد يلوح إلى أنه مشبه فى شأنه شأن الإمام أبى حنيفة ، والإمام الجيلانى ، وهما من هما .

ثم يحدثنا الشاعر نفسه فيقول إنه تتلمذ له فى كتبه وأصبح من مريديه المقرين بفضله المستفيدين من علمه الذين قدروه ووقروه .

وهو يختتم قصيدته بمسك الختام لأنه استعار من قوله :

صلى عليك الله يا ملك الورى

ما غرد القمرى فى الأفنان

صلى عليك الله يا فرد العلى

ما أطرب الورقاء بالأحان

فقال محمد حسين إقبال القادري :

فعليه رحمة ربه وسلامه

ما غرد الأطياف بالأحان

مادام تلمع فى السماء نجومها
أو تبسم الأزهار فى البستان

ومقتضى السياق من بعد أن نولى وجهنا قبل قصيدة أخرى تدور فى فلكها متضمنة
مضمونها لأنها صنوها . إنها لمولانا فاروق أحمد ، نظمها بالعربية ، والنظم بالعربية إذا كان
منسوبا إلى غير عربى دل على فرط الاهتمام بوضع قصيدته فى مكانة عالية ، لأنها بلغة
كتاب الله المبين ، مما يضيف عليها طابعا على حدة ويهبها خصيصة تجعلها فى نظر غير
العرب من أطايب الكلام ، يقول :

ألم تر أن سكان البلاد
وأقوام القرى حتى البوادرى
وأن معول أهل العلم طرا
وأصحاب العدالة والسداد
لقد شهدوا بأن الشيخ أحمد
رضا فى العلم للأقوام هادى
إمام أقوام العلماء قيلا
وأحسنهم بيانا للمراد
وأرجحهم على الحق دليلا
وأسبقهم إلى دفع الفساد
وأعلاهم مراتب فى العلوم
وأنفعهم مقالا للعباد
بليغ أفصح الفصحاء قولاً
وأعلمهم بالمقاصد والمبادئ
مآثره تحير سامعيه
له ذكرٌ يشاع بكل نادى
له قول لمن قد صح دينا
وشدد حين قصد للأعداى
أعداى الدين إذا راموا فسادا
وأبدوا للرسول من العناد

فقام يذب عن عرض الرسول
فأضحى مثل أبطال شداد
فأصبح هاديا يهدى الخيارى
لحب محمد هادى العباد
توفى رحمة الله عليه
له قدر ولكن فى ازدياد
أعد لزاده حب النبى
فراح إلى الجنان بخير زاد^(٨٠)

إن الشاعر يشير إلى بصر الشيخ بالدين وقدرته على أن يفتى من يستفتيه ، لقد جلاه عالم دين فى المقام الأول ، وتلك هى أبرز صفاته وأخص سماته . وهذا ما جعل له الصيت البعيد فأفاد من علمه القاصى والدانى فى أرض الإسلام . إنه يجعل له الدرجة على سائر أهل العلم ويقول إنه يتقدمهم بخطى سراع . إنه فى نظره مقتدر على الحسم بين الحق والباطل ، وهذا ما جعله ذلك المفتى الذى يهدى من الخطأ أو الضلال ، أو يشكل عليه أمر الحرام والحلال ، كل من استنصحه متسائلا مستفتيا . كما أنه يشير إلى علمه الذى وسع الكثير ، فهو متضلع منه إلى أبعد مدى . أما بيانه فيعجب به على أنه بيان مشرق . وما قال إلا حقا ، فقد عرفناه كتيبا فى ثره فصيحاً فى شعره . كما أن له من المآثر والمناقب ما طبقت شهرته الآفاق ، وقد رأينا كيف أن المؤمنين كانوا يقصدونه من البلد النازح ليسألوه سؤالاً أو من كانوا يكتبون إليه الرسائل مستفسرين مستنيرين ، من أرجاء العالم الإسلامى . ثم يذكرنا بأنه كيف كان يزود عن حظيرة الدين القويم إذا ما تعرض لأهل الجهالة والضلالة ، كما ذاد ألسنة السوء عن خير البرية - صلى الله عليه وسلم . أما أصرته بالنبى ، فلم تفت هذا الشاعر فختم بها قصيدته فى جزم ويقين .

إن هذه القصيدة تعد تنمة للقصيدة التى أسلفنا إيرادها ، إلا أن القصيدة الأولى كان شاعرها أميل إلى التفصيل من قصيدة الشاعر الآخر ، فهما متساندان متكاملان متفقان على كلمة واحدة هى الحق المبين عن هذا العالم الجليل من علماء الدين .

(٨٠) محمد أحمد رضا خان والعالم العربى ، ص ١٢ .

ونمضى مع الزمان قدما ليدور حديثنا على من هيا أطروحة الدكتوراه تحت عنوان المديح النبوى فى اللغة الأردية^(٨١). فاستوجب أن يدرس مدائح أحمد رضا خان فلم يفتنه أن يشير إلى المنظومة السلامية له. فذكر أن هذه المنظومة تنشد بتمامها أو تنشد بعض أبياتها فى المحافل الدينية أو فى المساجد بعد صلاة الجمعة، وفى الاحتفال بالمولد النبوى الشريف. وتنشد بكيفية ترقق القلوب وتثير فيها هزة الطرب إلى حد للنفوس خشوع، وللعيون دموع. إن غير شاعر تصدى لمعارضة هذه المنظومة فنظم فى نفس البحر والقافية وإن غير قافيتها بعضهم، كما أن منهم من أقدم على تخميسها.

ولا نعدم فى ذلك ما يدل عل فرط اهتمام بها والنظر إليها على أنها مثال يحتذى، وهذا مما يرفع قيمتها، ويؤكد أهميتها.

وعقد فى مدينة كراتشى مؤتمر عالمى عن أحمد رضا خان فى يونيو من عام ١٩٩٨ م تحت رئاسة وزير التعليم الباكستانى. ومما يجرى مجرى العادة فى باكستان أن يعقد هذا المؤتمر فى كل عام.

وفى ذلك المؤتمر ألقى الوزير غوث على شاه كلمته قائلا^(٨٢): «إن قلب أحمد رضا خان يعمر بحب النبى - صلى الله عليه وسلم. لقد نطق عن مكنون نفسه وما تنطوى عليه جوانحه بمدائح فى العربية والفارسية والأردية، وإن إبداعه فى هذا المديح جعل للمديح النبوى فنا قائما بنفسه فى الشعر تنطوى عليه دواوين الشعر على أنه من التقاليد الأدبية المرعية إلى يومنا هذا. وسندرج سيرته ودراسة مؤلفاته فى مناهج الدراسة فى معاهد التعليم».

ومما قيل فى المؤتمر منسوباً إلى عالم الذرة الشهير قدير خان قوله^(٨٣):
«إن أحمد رضا خان يصدقنا التعبير عن حبه للنبى عليه الصلاة وأذكى السلام. إلى كونه ملما بعلوم تعددت وتنوعت.

إن ما أدلى به من رأى خاص بحركة الشمس، ودورانها رأى ذو بال. ولنا أن نتكئ إلى سند من آرائه الدينية، مما يجعل من مجتمعنا فى باكستان كيانا، هو بنيان مرصوص يشد بعضه بعضاً».

(٨١) أردو مين نعت گوئى ص ٤١٢.

(٨٢) إمام أحمد رضا خان، كانفرنس (٩٨).

(٨٣) إمام أحمد رضا خان كانفرنس ٩٨.

فهذا العالم من رجال العلم الذين يقيمون ما يقولون على أساس من التجارب التي يجرونها ليستنبطوا منها الحقائق، وما ذكره عن هذا الشيخ من أهمية ما ذكر عن حركة الشس يرشد إلى أنه كان واسع الباع في العلوم التجريبية إلى سعة باعه في علوم الدين، وما يتعلق منها بسبب.

ومما ذكر في هذا المؤتمر، ويحسن ذكره في هذا المقام ما قاله الباحث المصري حازم محمد أحمد محفوظ^(٨٤)، ومجمل قوله أن أحمد رضا خان كان ذا رغبة في القدوم إلى مصر، وبذل في ذلك المسعى رجاء أن يلتقى بعلماء الأزهر الشريف، ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه. لقد توطدت الأواصر بينه وبين علماء الأزهر من قبل، لاطلاعهم على ما أخرج من كتب بالعربية، إن منهم من قرظ كتابه «الدولة المكية بالمادة الغيبية».

وجامعة الأزهر تعد أول جامعة عربية منحت درجة التخصص لباحث، باكستاني وهو الشيخ مشتاق شاه، الذي هيا رسالته تحت عنوان الإمام أحمد رضا خان، وأثره في الفقه الحنفي. وكان ذلك في عام ١٩٩٨ م. وثمة باكستاني آخر هو الشيخ ممتاز سديدي يهوى بحثاً في مادة التخصص بعنوان: الشيخ أحمد رضا خان البريلوي الهندي شاعراً عربياً. كما كتب عالم من علماء وأساتذة الأزهر، هو الدكتور رزق مرسى أبو العباس، تحت عنوان: «الإمام محمد أحمد رضا خان البريلوي، مصباح هندي بلسان عربي»، وهو بحث له مرموق من قيمته. ونشر محيي الدين الألوائى الهندي - وقد درس في الأزهر الشريف - مقالاً بعنوان: مولانا أحمد رضا خان كما نظم الأستاذ محمد محفوظ - نقيب المعلمين - قصيدة عصماء في مدح أحمد رضا.

وما أسلفنا الإشارة إليه مما دار في المؤتمر وما اهتم الباحثون بدراسته، والحديث عنه يقعد الإمام القمة في الدين والعلم والشعر.

ومن بعد نجد ميسر الحاجة إلى عقد المقارنة بين «أحمد رضا» و«محمد إقبال»، من حيث كونهما علميين من أعلام الإسلام في عصرنا الحاضر، لهما من الشهرة ما لا نجد ولا نكاد عند من سواهما، من تعدد الجوانب وتنوع المناحي ما يكادان ينفردان به.

وما لا مرأى فيه، أن عقد الموازنة بين اثنين طرفين كائنين ما يكونان مما يبرز خصائص كل طرف إبرازاً لا يتأتى إلا بالمقارنة، لأن الطرفين في الأغلب الأعم بينهما تشابه وتماثل

(٨٤) محمد أحمد رضا خان والعالم العربي، ١٤٥ : ١٧٧.

وتخالف واتفاق .

وليس يخفى أن تلك المقارنة ، لابد أن تخوض بنا فى حقائق وحقائق ، وتدعو إلى تفرق
سجون الحديث بنا عن تيارات روحية واتجاهات فكرية وتواريخ ، وكل ما يتصل من ذلك
بسبب . لذا صح فى فكرنا أن عقد تلك الموازنة حتم لزام .
ولتكن البداية بالنشأة الأولى ، فمما لا ريب فيه أن لها أثرها من بعد ، وقد يظهر هذا
الأثر كما يخفى ، لكنه لابد أن يرد إليها ولو بعد دراسة تربط المسبب بالسبب وترتب
النتيجة على المقدمة .

جاء فى سيرة «إقبال» ، أنه جلس مجلس التلميذ من أبيه ، وكان رجل تقوى وورع
وصاحب عبادة ، وله فرط ولوع بالنظر فى العقائد والتعرف إلى شتى الأديان . علم هذا
الأب ولده القرآن الكريم ، ولكن لا على نحو تقليدى ، أى مجرد أنه حفظه القرآن ، وكان
هذا حسبه ، بل أوصاه أن يعن النظر فيه فى تفكر وتدبر وحضور عقل ، وأذعن الابن لأبيه
وجعل تلك الوصية نصب عينيه منذ بدايته الأولى ، وكان أن دام على ذلك طيلة العمر
وتجلى ذلك بتمام الوضوح فيما أخرج من تراث .

فنحن لا نعرف داعية إسلامى بلغ مبلغ إقبال فى ترديد نظره فى آيات الذكر الحكيم ولا
تكاد تخلو صفحة فى كتبه المنظومة من آية أو جزء منها يوردها «إقبال» متخذاً منها حجة لا
تحتل من شك ولا تأويل ، إنه بذلك يتأتى له أن يصحح ما أراد له تصحيحاً عند بعض
المتصوفة ومن لم يدرسوا القرآن على ما ينبغى أن يدرس ، فإنه القائل فى رباعية له هذه
ترجمتها لها :

إلى الصوفى والملا كلامى

كلام الله قالوا بالتمام

ولكن أولاً ما أولاه

فحار الروح بل خير الأنام

إنه أراد ليقول إنه لا يميل إلى شطح وشطط غلات المتصوفة ، وكثرة تخريجاتهم
وتأويلاتهم ، كما لا يقبل ممن يبحثون فى الدين أو يتحدثون عنه ولا عمق لهم فى درايتهم
بأحكامه . إنه يقول إن هؤلاء وأولئك تحدثوا عن كتاب الله المبين إلا أنهم نظروا إلى الظاهر
ولم يغوصوا على الباطن ، وأنساهم المظهر أن يشيروا إلى الجوهر . ويرى أن هذا من

صنيعهم لم يجعلهم فى مرضاة النبى - صلى الله عليه وسلم - وجبريل - عليه السلام - لأنهم لم يفهموا على الصحة والصواب ، وكان الأولى بهم ثم الأولى بهم أن يعمقوا الفكرة ويدققوا النظرة ، وأن يفهموا حق التفهم .

ونلتفت إلى «أحمد رضا» الذى تتلمذ لأبيه وجده ، وكانا من أكابر علماء الدين وأعظم الصوفية ، فتلقى عنهما كثيرا من العلوم ، وكان هذا دأبا وديدنا عند القوم فى ذلك الزمان ، وتلك البيئة ، وعادة مرعية . وحفظ «أحمد رضا» القرآن الكريم فى مكتب الحى الذى ولد فيه . وهنا نلاحظ الفارق بين إقبال وأحمد رضا فإن أحمد رضا حفظ القرآن على يد شيخه فى المكتب بينما حفظه ودرسه «إقبال» على يد أبيه ، لذا لا يسعنا أن نجد أحمد رضا وإقبال متفقان فى نوعية دراستهما للقرآن فى نشأتهم الأولى ، ونزيد ذلك إيضاحا لنقول إن إقبالا حين درس القرآن على أبيه لم يكن قد عرف العربية بعد ، فدرسه مترجما إلى الأردية ، ولكن أحمد رضا درسه وحفظه وهو على علم بالعربية ، لأن أباه كانت له مدرسة لتعليم العربية ، ويملك ناصية لغة الضاد .

وهذا يفضى بنا إلى ذكر العربية بين «إقبال» وبين «أحمد رضا» . . درس «إقبال» العربية ودرسها كما شغف بها ، إل حد أنه كان يقول : «لوددت لو استطعت أن أنظم الشعر بالعربية كما أنظمه بالفارسية والأردية» . أما أحمد رضا فله ديوان كبير بالعربية وقد مربنا كيف أنه كان كتيبها نثره جيد العبارة متين السبك ، وطالما درس العربية كذلك فى موطنه وصحح أشعارا لمن حاولوا النظم بها ، وله لسان طلق فى العربية أقر بذلك من تعرف إليهم وعاشهم من علماء العرب ومن يحذقون لغة العرب فى بلاده وله مالا يحصى كثرة من كتب ورسائل باللغة العربية . وليس لإقبال شعر فى العربية ولا نثر .

وننتقل بعد ذلك إلى مرحلة التعليم التى طواها «إقبال» و«أحمد رضا» فنقول إن إقبالا لحق بمدارس الحكومة والإشراف عليها للإنجليز المستعمرين . أما «أحمد رضا» فكره له والده أن يدرس فى مدارس حكومية ، لموقفه من الإنجليز الذين يضمرون لهم كراهته ونفوره منهم ، وهو فى ذلك يشبه الكثرة الكاثرة من رجال الدين فى شبه القارة . فلحق ابنه أحمد رضا بالدرس النظامى ، منهج دراسى إسلامى يطبق على جميع المدارس والجامعات الأهلية فى البلاد ، وفيه يدرس القرآن والحديث وعلوم الدين أصولها وفروعها . ومن ذلك ندرك الفرق بين نوعية دراسة «إقبال» ودراسة «أحمد رضا» ولا يفوتنا أن نشير إلى أن إقبالا تتلمذ لمستشرق إنجليزى معروف ، هو «تومس أرنولد» الذى حُبب إليه أن يرتحل إلى إنجلترا

ليتم دراسته فى جامعاتها . أما «أحمد رضا» فما قام فى نفسه أن يرحل إلى أوروبا مستزيدا من العلم .

إن «إقبالاً» بعدما تلقى ما تلقى عن أبيه تحرك فى عقله الميل إلى الفلسفة وغمى هذا الميل إلى أن أصبحت له صفة الاستعداد والملكة ، فدرس الفلسفة فى أوروبا ، ونعنى بها الفلسفة العالية ، أى فلسفة ما وراء الطبيعة ، وقدم أطروحة رسالته إلى جامعة «ميونخ الألمانية» عام ١٩٠٥ ، بعنوان : «ما وراء الطبيعة فى إيران» .

ولكن «أحمد رضا» سلك طريقا آخر هو الطريق التقليدى فاستكمل دراسته على يد رجال الدين وشيوخ التصوف .

وملاحظ أن إقبالاً أثناء دراسته فى وطنه جلس إلى شيخ صوفى قادري المذهب وتلقى عنه الطريقة القادرية ، وهو فى ذلك يتفق مع «أحمد رضا» ولكن يختلف عنه «أحمد رضا» فى أنه أخذ على يد من يسمى بالشيخ الشاه آل رسول المارهروى ثلاث عشرة طريقة صوفية أخرى ، مما يرشد إلى أنه تبهر حقا فى التعرف إلى التصوف . وإن كنا نلاحظ على «إقبال» أنه فى شعره يميل إلى ذكر بعض مصطلحات التصوف كالحال ، والمقام ، ولكن لا ليرشد إلى عقيدة صوفية ، وإنما ليضفى رواء وبهاء على كلامه .

إن «إقبالاً» وهو داعية إسلامى له نزعة إصلاحية رغبة فى تجديد الفكر الإسلامى ، وكان أساس دعوته هو أن يكون المسلم هو من يعمر الأرض ويعمل لخيرته وخير من سواه ، ولا يحيى حياة عزلة عن الدنيا ، بل لزم عليه أن يأخذ بكل الأسباب لينصرف عن السلبية التى تقعد به عن اللحاق بركب الحضارة الإسلامية التى دعا الله ورسوله إليها وحث على الكد والعمل وزجر عن التواكل والكسل . وهذا من منهج فكره أدى به إلى أن يكره لبعض غلاة الصوفية أن يدعوا إلى الانصراف عن الدنيا والقيود عن السعى والضرب فى الأرض ، حتى أنه أعلن عن عدم رضاه وإعجابه بالشاعر الفارسى الأعظم الأشهر الشيرازى ، الذى يعد أعظم شعراء الفارسية غير منازع ذلك أنه كان صوفيا وتصوفه هذا عند إقبال ما يسميه بالتصوف العجمى ، أى ذلك التصوف الذى دخلت عليه تيارات غير إسلامية ، وكانت فيه الدعوة إلى رفض الدنيا وقطع العلائق بينها والتعلق بالآخرة ليس إلا .

وقد عرضه ذلك لنقد من يقرأون هذا الشاعر ، ويعدون ديوانه ريحانتهم . إن «إقبالاً» لا يكره التصوف كراهية على إطلاق ، بل لا يميل إلى ما يسميه التصوف العجمى الذى أشرنا إليه من قبل ، ولذلك قل أن نجد فى كلامه وصفا أو ذكرا للخمر ، وإن كانت الخمر فى

الشعر الصوفي رمزا للعلم اللدني ، أو المعرفة الصوفية ، فالخمر تنبثق منها تلك المعرفة كما ينبثق النور من الشمس ، ها هو ذا «إقبال» يقول ما ترجمتنا له :
أنا هندی عن الفرس غريب

وهلال ليس بي خمر تطيب

وهو بذلك يريد أن يبرأ من شطح وشطط المتصوفة في كلامهم ، حتى ولو كان من قبيل الرمز والإيماء ، وإن لكلامهم ظاهرا لا يقصدون وباطنا ، هم إليه يقصدون .
إن «أحمد رضا» يشبه «إقبال» في ذلك لأنه كذلك لم يذكر الخمر في شعره الصوفي ، وهو يتأثم من ذلك لتقواه وورعه ، وإن كان كلامه مجرد رمز يخرج عن حقيقة ما يريد الشاعر ليقول :

نحن نعرف أحمد رضا متصدرا للإفتاء ، فهو إمام في الدين عالم بالأصول والفروع مستند إلى العقل والنقل ، وهذا شأن المفتي الحق بالمعنى الأصح الأدق . فقد عرفناه يؤلف في هذا التأليف ذوات العدد . ولقد جمع ما ألف في الإفتاء فاتسع لفتاويه اثنا عشر مجلدا ضخما ، وعرف بإمام الفقهاء . أما «إقبال» فقد اتفق أن كتب إليه من يستفتيه في مسألة خلافية عويصة فكان من رده عليه قوله : «لقد أفتى في هذه المسألة الإمام محمد عبده مفتي الديار المصرية ، ارجع إلى فتواه» مما يدل على أنه أراد أن يقول أنه ليس من أهل الفتوى .

كان «إقبال» شاعرا رقيقا في صدر شبابه ، نظم بالفارسية والأردية في كل فنون القريض حتى قال عن نفسه مزهوا بها : «لو أنه تقدم بشعره لنيل جائزة نوبل لمنحها ولا بد» . إلا أنه بعد ذلك انقطع عن قول الشعر في شتى فنونه ، منصرفه عن أوروبا حين مر بجزيرة صقلية وشاهد آثار المسلمين بها ، وساءه أن يجد لهم من ازدهار الحضارة ما لا غاية بعده ، ثم وجد ما آل إليه حالهم في ظل المستعمرين فقطع على نفسه عهدا ألا يقول شعرا إلا في الدعوة إلى إصلاح بالهم للأخذ بيدهم إلى ما فيه كل خيرهم .

وهنا نجد أن هذان العلمان يختلفان في هذا . «فأحمد رضا» كان ينظم في أول أمره الشعر ولكن في مدح النبي - صلى الله عليه وسلم - وهنا يبدو الفرق بين الشخصيتين بالوضوح الأتم ، وقصر شعره على مدح النبي وآل بيته ، والأولياء ، مع قدرته على أن يقول شعرا يتقلب في كل الفنون ، ولكن النشأة الدينية له وتقواه التي بلغ فيها الغاية ، وعلوم الدين التي أوفى على الغاية في إحاطته بها جعلته يتأثم من أن يقول شعرا إلا في مدح النبي وآل بيته وصحابته .

إن «إقبال» اتخذ الشعر أسلوب تعبير تأسيا بشعراء الفرس والهند، ذلك أن للشعر موقعه في النفوس ورسوخه في الأفهام، بل إننا لا نجد له إلا أقل القليل في الشر وكتبه منظومة في الفارسية والأردية.

أما «أحمد رضا» فنظم في العربية والفارسية والأردية والهندية على حين عالج إقبال نظم القريض في لغتين اثنتين، وشعر «إقبال» صورة واضحة المعالم لأفكاره ومبادئه ومثله التي لها الذبوع في الآفاق، وهو مصلح ديني اجتماعي بكل ما تنطوى عليه الكلمة من معنى، ويختلف الشاعران في أسلوبهما. فأحمد رضا يتوخى تمام الوضوح ولا يجنح إلى استخدام البديع إلا بمقدار، ويأبى أن يكون كلامه مستغلقا لا يحيط بشيء منه إلا الراسخون في العلم، لأنه ينطق عن الدين، والدين حقائق ثابتة للناس كافة لا يسع كائنا من كان أن يصرفها عن وجهها.

أما «إقبال» وهو الذي اتسع له الباع في الفلسفة، كما عرف عنه في بدايته الأولى أنه كان شاعرا يتقلب شعره في دقائق المعاني، ويشمل شتى الفنون، فهو يميل كل الميل إلى التمثيل والتخييل والرمز والإيماء، وشعره في كثير من مواضعه لا يضمن على من ينظر فيه بالفهم حق الفهم إلا بعد كد للذهن وإعمال للروية، فهو شعر عالي الطبقة يناطق العقول قبل أن يناعى القلوب، وهو لصفوة الخواص الذين يمعنون النظر في معانيه، ويكتهنون مراميه.

ولأحمد رضا قلم دافق جرى بنثر لا يقع تحت حصر، فهو إمام دين يشرح المسائل ويبين الأحكام، ويريد للمسلمين أن يفهموا دينهم على الصحة معتمدا في ذلك على النقل والعقل في وقت معا، مع إدلاء برأى يحسم الخلاف ويكشف النقاب عن وجه الصواب، ومبلغ علمنا أن لإقبال كتابين بالإنجليزية أحدهما في الاقتصاد والثاني تجديد الفكر الديني في الإسلام.

ويفضى بنا هذا إلى ذكر علم رضا وإقبال بالإنجليزية، فرضا ليس يميل إلى الإنجليزية على أنها لغة الإنجليز المستعمرين «أعداء الدين»، أما إقبال فدرسها من قديم وتعلمذ للمستشرق الإنجليزي «تومس أرنولد»، وسافر إلى إنجلترا مرارا، وألف بها كما مر بنا. وفي أوروبا وصل أسبابه بأسباب العلماء والفلاسفة، فكان لزاما أن يكون على علم واسع بالإنجليزية، وكذلك بالألمانية. ودام إقبال على صلته بالإنجليزية بعد عودته من الخارج، فاشتغل في كلية لاهور الحكومية، والكلية الشرقية، وهما كليتان يشرف عليهما الإنجليز، ومنح لقب سير. وليس الشأن كذلك عند أحمد رضا، فما كان له مع الإنجليز شأن، بل

بلغ به الأمر أن يزجر المسلمين عن أدنى صلة لهم بالإنجليز، وذلك ما لا حاجة فيه إلى إيضاح، فهو مستمسك بدينه القويم الذي يريد أن يوضح أصوله وفروعه وأحكامه لأبناء لا إله إلا الله محتسبا وكفى.

وننظر بعد ذلك في التطابق بينهما من حيث موقفهما من التوسل، فلقد كان كل منهما يعتقد في التوسل بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وآل البيت والصحابة والأولياء، وذلك ما يبدو في أشعارهما وسلوكياتهما.

إن حب الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعمر به قلبهما، فأقبال على فراش موته في آخر عهده بدنياء كان يتوسل بخير البرية صلى الله عليه وسلم ويناجيه، وكان يزرف الدمع في لهفة من يحن حنينه إلى زيارته وخاصة أن قضاء الله لم يقدر له أن يحج البيت مما غمر قلبه بالأسى، ويا طالما عبر عن ذلك بدموع غزار.

وهذا الحرمان جعله يتخيل خروجه إلى الحج في شعر فارسي هو رباعيات في كتابه هدية الحجاز.
يقول إقبال (٨٥):

ليثرب كان في كبرى رحيلي
وبى فرح اللقاء مع الخليل
كأن الطير قبل الليل يمضى
ويغى العيش في الروض الجميل

أقول لناقتى بالرفق سيرى
بشيخ فارفقى مضنى حسير
فسارت ناقتى سيرا عنيفا
أتخطو في الرمال أم الحرير

(٨٥) حسين مجيب المصري، هدية الحجاز، الترجمة المنظومة لكتاب أرمغان حجاز، ص ٤٤ : ٤٨ (القاهرة، ص ١٩٧٥ م).

ويا جمال عنها اطرح عقالا
لروحي روحها كانت مثالا
تهادت موجة أيقنت منها
بأن على الفؤاد الأسر طالا

ترقرق دمعها سود العيون
ومن زفرتها كانت شجونى
مدام أضرمت فى القلب نارا
بنظرتها كموج يحتوينى

وفى الصحراء قافلة تكون
وفى توديعها خفقت لحون
ألا فاسجد على رمل تلظى
عليه الوسم يحترق الجبين

نديم الروح بادلنى شكاتى
وقل مثلى بمحجوب مماتى
لنلثم موضع القدمين فاهمس
بأجفان رقاق دامعات

تمهل لا تقم تلك الخيام
دليل الركب فى البيداء هام
وهذا العقل نعدمه دليلا
لذا للقلب أسلمت الزمام

مساء مثل فجر قد تبسم
تمطى صبحها والليل أظلم

تمهل إن خطوات على رمال

كقلبي كلها قلب تألم

أشب فرحا بأحزان الطريق

وكن مجنونه غير المفيق

طريقا طال يا حادى لتسلك

وآلام المفارق من حريق

وحسبنا هذا القدر من تلك الرباعيات ، ونقول إن اختيار «إقبال» للنظم فى الرباعيات يكسب شعره رونقا على حدة ، لأن شاعر الرباعية مضطر إلى تحديد فكرة له فى أربعة أسطر ، فلزم أن يجليها ويبرزها على نحو يجعلها فى إطار يمسه.

إن «إقبالا» يتخيل هذا الطريق الذى يسلكه إلى بيت الله العتيق وكأنما يتأثر بالصوفية الذين يسلكون فى تصوفهم طريقا يطوون فيه مرحلة بعد مرحلة . إنه يحلم بسفرة يطوى فيها المراحل إلى أرض الرسول صلى الله عليه وسلم ، تلك الأرض التى كانت تنتظر قدومه إليها فى لهفة المشتاق .

فها هو ذا يعبر عن شوقه إلى ذلك المنزل فى تلك الطريق الطويلة ، وقد شفه الألم لأنه لم يبلغ غايته ، فجعل يناجى ناقتة ويباكيها ويشاكيها وكأنما ود لو قدر لها أن تحمله إلى أرض الحبيب التى انقطعت وسيلته إلى بلوغها .

إن لهفة الحرمان تتجلى فى هذا الشعر الذى يخفق بحب سيد المرسلين ، ويهفو به ذلك الشوق ثم يهفو ليضنى بالعذاب المستهام . فحب النبى يتجلى فى هذا الشعر فى رقة ، وكأنه دمع رقراق وعلى نحو لا نعهده عند من يمدحون الرسول صلى الله عليه وسلم ، مدحا تقليديا . وهنا تبدو عبقرية إقبال وشاعريته التى أخفتها رغبته فى تضمين شعره نزعة الفكرية وقصره على المعنى الذى قد يضيع معه قدرٌ من سحر البلاغة وروعة الفن .

أما أحمد رضا فقد مضى إلى الحجاز حاجا وهناك نظم شعرا فى مدح النبى ، وخال أهل الدين والعلم ودار الحوار بينه وبينهم فى مسائل الدين ، كما حج البيت ثانياً ، وجمع بين الحسنين ، زيارة روضة الرسول صلى الله عليه وسلم والاجتماع بأهل الدين والعلم

من العرب الذين جمعهم الموسم من أرجاء البلاد الإسلامية .
كما نعلم من شأنه أنه نظم قصيدة بالأردية وهو فى طريقه من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة فى حجته الأولى ، وفى مطلعها يرفع نداءه إلى الحجيج ويهيب بهم أن يحثوا خطاهم إلى المدينة ليروا روضة الحبيب صلى الله عليه وسلم بعد أن شهدوا الكعبة ، فروضة الحبيب كعبة للكعبة .

إنه بمثل هذا من قوله كأنما يدلى برأى يتأثر فيه بفقهه لأنه يعلل أهمية زيارة القبر الشريف بأن لهذا القبر منزلة يشبهها بمنزلة بيت الله . فهذا البيت يقيم الفارق بين نوعية كلامه وكلام «إقبال» ، «فإقبال» ذلك اللفهان الذى يكابد ما يكابد من لوعة الحرمان ، فكلامه عاطفة فى صميمها ، ولن يكون الأمر كذلك عند «أحمد رضا» الذى طاب نفسا وقر عينا بعد أن بلغ الغاية وحقق المنى . وهذا يحدد ما بين الشاعرين من تفاوت إزاء حج البيت على العموم .

يقول التاريخ إن إقبالا قدم مصر ، ومضى إلى أزهرها الشريف مثابة الدين ومنازة الدين القويم ، والتقى بشيخ الإسلام ومفتى الديار المصرية ودار بينه وبين الشيخين حديث ذو شجون ، وكذلك بأكابر علماء الأزهر . وهذا ما لم يجر قضاء الله به لأحمد رضا ، وإن التقى بشيوخ الأزهر فى أرض الحجاز ، وقرظوا كتباً له . وهذا يرشد إلى أن كلا منهما يتفق مع الآخر فى نظره إلى الأزهر الشريف ، ويعرف أن له ما له من علو القدر ورفع المنزلة عند علماء الدين والمسلمين أجمعين .

أما موقفهما من العرب فالحاجة فيها إلى فضل من تفصيل ، فقد عرفنا أن أحمد رضا هوى فؤاده إلى العرب وذلك بفضل الدين القيم الذى جمعه بهم .
أما إقبال فهو القائل :

قول «إلا الله» مَنْ قد ردّوه

ذلك المصباح أين أوقدوه

نفس الأُمى مرموق النسب

جعل الجنات صحراء العرب

كيد غريبى لتحذر يا غريب

فتنة من بعد أخرى كم يثير

إن إقبالاً يقرن ميله إلى العرب بما يربطه بهم من دين الله الحنيف ، وبحب خير البرية صلى الله عليه وسلم ، فهو هنا متفق مع أحمد رضا ، وهو إلى ذلك يلقي بالا إلى العرب ويدعوهم إلى أن يأخذوا حذرهم من المستعمرين الذين يوقعون الفتنة والفرقة بينهم ليكون لهم السلطان عليهم .

ولإقبال ست قصائد بالأردية ، هي أندلسيات أرخ فيها لخلفاء وأمراء وقادة العرب وفيها يبدو تياها بعظمتهم وعزتهم ونجاحهم في فتح الأندلس ونشر حضارة الإسلام فيها بكل جوانبها ومظاهرها ، إنه القائل :

جنود وإيمانهم في القلوب
كشفت لهم أنت سر الغيوب
وقفر وبحر لإقدامهم
تخر الجبال لإعظامهم
وموت الشهيد لنعم الأرب
ولا الجاه والمملك بل والنشب
وصحراءنا تلك أضحت لنا
برفع الأذان وما حولنا
وأما الحمام فليس العدم
وخلد لنا الموت تحت العلم^(٨٦)

ففي هذه الأبيات يحيى إقبال طارق ابن زياد ويفخر بجند المسلمين المجاهدين الذين بذلوا أرواحهم مجاهدين في سبيل الله على أن الجهاد هو الذي يبلغ بهم جنات النعيم . إنه يتمثل نفسه مجاهدا معهم في سبيل الله ، وهنا تبدو الصلة الوثقى بينه وبين العرب ، وبذلك يبدو أن كلا منهما ارتبط بالعرب في المقام الأول بذلك الإيمان الذي تمكن في قلبهما فضل تمكن ، الحق والحق نقول ، إن أحمد رضا أوتي من كل علم ، بيد أننا لا نعرف عنه أنه ألقى بالا إلى الفلسفة على الخصوص ، فما ضرب في متاهاتها ، ولا نظر في معضلاتها . أما إقبال ، فالشأن عنده غير الشأن . فقد عكف على دراسة الفلسفة في إنجلترا

(٨٦) حسين مجيب المصري ، الأندلس بين شوقي وإقبال ، ص ٢١٠ ، (الدار الثقافية للنشر - القاهرة) ١٩٩٩ م .

وألمانيا، واغترف منها اغترافاً، وما كفاه ذلك، بل اتصل ببعض أساطين الفلسفة من الأوروبيين وحاورهم في منطق مستقيم راشد، وبذلك استطاع التأييد أو التفنيد. ونلفى هذا في موقفه من الفيلسوف الألماني نيتشه.

ونيتشه يرى أن إرادة القوة عنده إرادة فريدة، فهي تحب ذاتها، كما أنها تقسو على غيرها، بل في الأحياء تقسو على نفسها، وتجد في المخاطرة وفي الشعور بالألم ضرورة لها لا غنى عنها، وهذا من رأى نيتشه لا شك يتجافى عن القيم والمثل، لأنها تجعل القوة المبدأ الأساسى الأول الذى يبنى عليه كل قيمة ومسلك (٨٧).

فهذا الفيلسوف يأخذ بمبدأ العنف ويجعله المبدأ الذى تنبنى عليه فلسفته، وما من ريب فى أن إقبالاً صاحب نزعة إنسانية بكل ما تنطوى عليه الكلمة من معنى. ولنستمع إليه يتحدث عنه فى كتابه «جاويد نامه» الذى ترجمناه إلى الشعر العربى تحت عنوان «فى السماء» (٨٨):

قلت للرومى ذا المجنون من؟

قال فى الألمان مشهور الزكن (٨٩)

كان بين العالمين موضعه

وقديم اللحن منه نسمعه

إنه الحلاج لكن أين عوده؟

قال قولاً وسواه لا يعيده

وجرى القول براق الفكر

قوله السيف الفرّج قد شطر

الجليس ليس يدرى جذبته

تحسب المجذوب جنّ نظرتة

من خمارِ العشق معدومو النصيب

نبضه قد أودعوا كف الطبيب (٩٠)

(٨٧) مراد وهبة ويوسف كرم ويوسف شلاله، المعجم الفلسفى، ص ١٠ (القاهرة ١٩٧١ م).

(٨٨) حسين مجيب المصرى، فى السماء، ٢٣٣- ٢٣٧ (القاهرة ١٩٧٣ م).

(٨٩) الزكن: العقل والحكمة.

(٩٠) الخمار بالضم الصداغ من شدة السكر.

عند أهل الطب خَتْلٌ ما وجد
 ويل مجذوب لإفرنج ولد (٩١)
 ابن سينا فى كلام قال أفصد
 أو بَحْبٌ من شكى الأوجاع أرقد
 كان حلاجاً بأرض كالغريب
 فرّ من قتل الفقيه لا الطبيب!
 الطريق فى الفرنج من عرف؟
 فعلى قيثاره دوما عزف
 الطريق ليس فيه من دليل
 ضل فى سير وفى سير وبيل
 كان ما لا لم يجد من عدّه
 ينجز الأعمال لكن وحده
 عاشق لكن طوته زفرته
 سالك قد تيهته خطوته (٩٢)
 حطّم الكاسات ذّباك الثمل
 وعن الله وذات منفصل
 ورأى لكن بعين الظاهر
 الرقيق فى العنيف القاهر
 وانطلاقاً شاء من طين البدن
 وخروج الحبّ فى قلب قطن
 ومقام للإله ما يريد
 وعن العقل البعيد والبعيد
 عن تجلّ ما لديه من خبر
 كثمار أبعدوها عن شجر

(٩١) الختل: الغش والخداع.

(٩٢) تيهه: أضله وضيعه.

ليته من عاش فى عصر لأحمد
ليعيش فى الحبور وهو سرمد (٩٣)
عقله للذات قال : استمر
أنت فى خير طريق ، فلتسر

إن إقبالا يجرح نيتشه تجريحا بعد تضلعه من الفلسفة واقتناعه بالمذهب الذى أخذ به لا
يغى به بديلا . إنه يعيب على نيتشه أخذه بالعنف لأنه يأخذ باللين واللفظ فهما يقفان فى
ذلك على طرفى نقيض . وأى عجب فى ذلك وهو المؤمن الموقن والإسلام دين السماحة
بتمام المعنى .

إنه فى كتاب «فى السماء» يتخيل أنه التقى بجلال الدين الرومى فيما وراء الأفلاك
ويحدثه عن نيتشه فيقول عنه إنه من هذا المجنون ساخرا متهمكا ويزيد من تهكمه بقوله إنه
مع جنونه ذائع الصيت بعقله وسداد رأيه وصحة تفكيره فى الألمان . إنه يشبهه بالحلاج
الذى قال «أنا الحق» وصلب بقولته تلك ، وكأنا ود إقبال لو صلب نيتشه كما صلب
الحلاج ، كما يقول إنه برأيه أذى الفرخ لأن رأيه رأى فاسد باطل ، ثم ينطلق إقبال على
سجيته ، إنه متأثر بالتصوف فى روحانيته لأنه يتحدث عن الجذب وهو العشق الإلهى
ونشوته الحاملة فيسخر منه لأن قلبه لا يرق لهذا العشق . ويشير ثانية إلى أنه عليل والطبيب
لا يقع له على دواء يفضى به إلى الشفاء . ويلتفت إلى طب ابن سينا وطب الغربيين مرشدا
بذلك إلى أن ابن سينا مع كونه طبيبا كان متصوفا ، وتصوفه هو شفاء الروح ، كما أنه يلوم
نيتشه على أنه كان يذهب بنفسه ويريد ليفرض رأيه على بطلانه ، ثم يعود إلى تهكمه به
وسخريته منه فيقول : إنه إن كان عاشقا فليس عاشقا صوفيا ، بل كان عاشقا أضرب به
عشقه ، كما أنه لم يشمل ولا ذاق نشوة العشق الإلهى بل كان ذلك الخمير الذى ثمل فحطم
كؤوس المرام . كما قال يعوزه أن يكون رقيق القلب صفو الروح يدرك معنى التجلى . وهذا
ما لا يدركه من هو فى مثل عنفه الذى يتعارض مع ما ينبغى أن يكون عليه من له نزعة
إنسانية ، وتلك النزعة الإنسانية الرقيقة لا تتعارض قط مع التعقل .

(٩٣) أحمد هو الشيخ أحمد السرهندى المتوفى عام ١٥٦٤ ، ذلك الصوفى الهندى الذى عاصر أكبر
وجانكيزا من أباطرة المغول فى الهند ، وقد عرف بمجدد الألف الثانى . وكان ضد غلاة المتصوفة .
الحبور : السرور . السرمد : الدائم .

فإقبال هنا يتصدى لنقد هذا الفيلسوف الألماني الأشهر ويعبر ضمنا عن مذهبه في التفكير الذى يتعارض كل التعارض مع مذهب نيتشه .

ومما يختلف فيه إقبال عن أحمد رضا، أن إقبالا ذاع صيته فى آفاق الشرق والغرب بما ترجم من كتبه وما كتب عنه، أما أحمد رضا فعرف فى العالم الإسلامى بما كتب عنه وعن مؤلفاته كما أنه كتب بالعربية فى شتى العلوم الإسلامية مما عرف العرب بمؤلفاته فى سهولة ويسر . كما أن كثيرا من كتب أحمد رضا مازالت مخطوطة لم تر النور بطبعها . على حين نشرت مؤلفات إقبال كلها، وترجم معظمها إلى لغات شتى فعرف فى الغرب بقدر ما عرف فى الشرق .

ونحن بعد كل ما أسلفنا نجد مس الحاجة إلى كلمة نقول فيها : إن أحمد رضا ومحمد إقبال شخصيتان متكاملتان فى شخصية واحدة ، هى الشخصية الإسلامية المثلى بكل ملامحها وصفاتها وسماتها ، وهى شخصية عكّمت من أشهر أعلام الإسلام فى العصر الحاضر أنجبته شبه القارة .

نظرة فى السلامية

لا يصل قلمنا فى هذه الصفحات إلى نهاية قبل أن نتمثل هذه المنظومة السلامية فى نظرة مستوعبة تتأملها فى إطار فضفاض يجمعها فى كيان مرموق . وفى الحسبان أن فى ذلك توسيعا للمعرفة بها وإدراك ما ترشد إليه ، وتدعو إلى استطراد مفيد يزيد الحقائق إيضاحا وإشراقا .

فالمدائح النبوية فن شعرى أذاعه التصوف ، وهى تعبير عن عاطفة دينية وأدب جد رفيع لأنها إنما تصدر عن قلوب غمرت بالصدق والإخلاص^(١) .

هذا رأى لا غبار عليه إلا أنه حكم فيه الحاجة إلى شىء من إيضاح .

فالقول بأن الصوفية هم الذين أذاعوا المدائح النبوية بالمعنى الذى نقصده ، وهو نظم مدائح فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم من ألفها إلى يائها ، قول تعوزه الدقة . فمن نظموا المدائح النبوية كالسلامية مثلا التى نحن بصدد القول فيها لم يكونوا من الصوفية بالمعنى الذى يسبق إلى الفهم ، فنحن نعرف من المتصوفة ، ما لا يحصى كثرة ، فما نظموا جميعا فى المدائح النبوية ، فالأولى أن يقال إن المؤمن الموقن لا شك يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبا جما ، ومن الشعراء من مدحوا النبى لفرط محبتهم له ، أما أن يكون منهم من كان صوفى المذهب بخاصة ، فلا يسعنا القول إن تصوفه وحده كان دافعه إلى مدح سيد الأنبياء صلى الله عليه وسلم . وعليه فالوجه أن يقال ليس كل صوفى مداحا للنبى ، فمدح النبى لا يتعلق بضرورة بشرط أن يكون المادح صوفيا .

نحن نعلم أن أحمد رضا لم يشتهر بالتصوف وحده بل بالتصوف وكثير غيره من العلوم الإسلامية ، فليس تصوفه هو الدافع إلى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ولكنه مدحه لحبه له ، ويدافع من تقواه ، وربما كان فى هذا من رأينا ما يفسر مضمون حكمنا . . ونحن على حجة من أن من مداحى الرسول صلى الله عليه وسلم من لا نعرف عنهم أنهم كانوا من المتصوفة .

(١) د. زكى مبارك ، المدائح النبوية فى الأدب العربى ، ص ١٧ (القاهرة ، ١٩٣٥ م) .

والنقلة بعد ذلك إلى عنوان المنظومة وهو «السلامية»، والسلام متصل بالصلاة بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (سورة الأحزاب/ الآية ٥٦).

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صلوا على أنبياء الله ورسله، فإن الله بعثهم كما بعثني، صلوات الله وسلامه عليهم».

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا».

وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة».

وعن أوس بن أوس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فأكثروا على من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة على»، قالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ قال: يقول بليت، قال: إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء».

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على».

وعنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تجعلوا قبرى عيداً، وصلوا على»، فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم».

وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام».

وعن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على».

وعن فضالة بن عبيد رضى الله عنه قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو فى صلاته لم يجد الله تعالى، ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عجل هذا ثم دعاه فقال له -أو لغيره- إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه سبحانه والثناء عليه، ثم يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بما شاء».

وعن أبي محمد كعب بن عجرة رضى الله عنه قال: خرج علينا النبي صلى الله عليه

وسلم فقلنا : يا رسول الله ، قد علمنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلى عليك ؟ قال : قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

وعن أبى مسعود البدرى رضى الله عنه قال : أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى مجلس سعد بن عبادى رضى الله عنه فقال له بشير بن سعيد : أمرنا الله أن نصلى عليك يا رسول الله ، فكيف نصلى عليك ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا أنه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، والسلام كما علمتم .

وعن أبى حميد الساعدى رضى الله عنه قال : قالوا يا رسول الله كيف نصلى عليك ؟ قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد^(٢) .

ونذكر مما أوردنا من آية كريمة وأحاديث شريفة أن الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم يقتربان ولذلك نجد أن أحمد رضا فى منظومته يقرن بينهما على الدوام بعد كل بيت . كما أن الصلاة قد تطلق على آل النبى وأزواجه وذريته .

وأصل كلمة الصلاة راجع إلى معنيين أحدهما : الدعاء والتبريك ، والثانى : العبادة . فمما يدل على الدعاء والتبريك قوله تعالى : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم ﴾ (٩ : ١٠٣) . وقوله تعالى فى حق المنافقين : ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره ﴾ (٩ : ٨٤) .

وقول النبى صلى الله عليه وسلم : « إذا دعى أحدكم إلى الطعام فليجب فإن كان صائما فليصل » فهذا دعاء بالبركة .

كما قيل إن الصلاة فى اللغة معناها الدعاء . والدعاء نوعان : دعاء عبادة ، ودعاء مسألة ، والعابد داع ، كما أن السائل داع ، وبهما

(٢) راجع فى هذه الأحاديث محبى الدين أبى زكريا يحيى بن شرف النووى الشافعى ، رياض الصالحين ، ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ (القاهرة ١٩٨١م) .

فسر قوله عز من قائل : ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ (٤٠ : ٦٠).

كما فسر بها قوله تعالى : ﴿وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان﴾ (١٨٦ : ٢)، والصواب : أن الدعاء يعم النوعين ، وهذا لفظ متواطىء لا اشتراك فيه ، فمن استعمله فى دعاء العبادة قوله تعالى : ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض﴾ (٣٤ : ٢٢) وقوله تعالى : ﴿والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون﴾ (١٦ : ٢٠).

وقوله تعالى : ﴿قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم﴾ (٢٥ : ٧٧).

أما صلاة الله سبحانه وتعالى فنوعان : عامة ، وخاصة . فالعامة صلاته على عباده المؤمنين ، قال تعالى : ﴿هو الذى يصلى عليكم وملائكته﴾ (٣٣ : ٤٣)، كما أنه صلى الله عليه وسلم دعا بالصلاة على آحاد المؤمنين فقال : «اللهم صل على آل أبى أوفى» وفى حديث آخر قيل إن امرأة جاءتته تقول : «صل علىّ وعلى زوجى» فقال النبى صلى الله عليه وسلم : «صلى الله عليك وعلى زوجك».

أما الصلاة الخاصة فهى على أنبيائه ورسله ، وعلى الأخص على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد .

وقد تضاربت الأقوال فى معنى صلاة الله فقيل : إنها بمعنى رحمة الله ، كما قيل إنها المغفرة .

وابن قيم الجوزية يتصدى لتعريف الصلاة عل أنها المغفرة بالتجريح ، ويرى أن الله عز وجل فرق بين الصلاة على عباده ورحمته ، فقال : ﴿وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ (١٥٦ : ١٥٧) وبذلك كان العطف على الصلاة فتغيرا فى المعنى .

وأضاف يقول إن صلاة الله خاصة بالأنبياء والرسل والمؤمنين ، أما رحمته تعالى فهى التى وسعت كل شىء ، فليست الصلاة مرادفة للرحمة ، غير أن الرحمة من لوازم الصلاة وموجباتها ، فمن فسرهما بالرحمة فقد فسرهما ببعض ما لها من ثمرات ومقاصد . ولا خلاف فى جواز الرحمة على أهل الإيمان ، واختلف السلف والخلف فى جواز الصلاة على غير الأنبياء .

فالصلاة على المصلى عليه تنويه به ، وذكر لمناقبه ، فصلاة الله على الرسول صلى الله عليه وسلم الثناء عليه عند الملائكة (٣) .

(٣) ابن قيم الجوزية ، جلاء الأفهام فى الصلاة والسلام على خير الأنام ، ص ٧٦ - ٨٠ (القاهرة) .

وعلى ذكر الصلاة لا يفوتنى فى هذا الصدد أن أشير إلى ما جاء فى فضلها ومزيتها فى المولد التركى لسليمان چلبى ونعم المولد ما هو .

قال الرحالة التركى القديم أوليا چلبى وهو يذكر مدينة بروسه مسقط رأس سليمان چلبى ، إن مولده الذى يتلى فى بلاد العثمانيين وغير العثمانيين من بلاد الإسلام شعر معجز وسهل ممتنع^(٤) .

والمولد فى التركية سرد للسيرة العطرة مع مدح النبى صلى الله عليه وسلم . ونورد هنا مثالا منه لندرك مفهوم الصلاة فى كلام صاحب هذا المولد الذى نقلناه من الشعر التركى إلى الشعر العربى .

هذه الليلة جاء المصطفى
ملاً العالم نورا وكفى
يجعل الدنيا جنانا للنعيم
وبها الرحمة من رب رحيم
يا له من رحمة للعالمين
وشفيح لجميع المذنبين
وصفه هذاك عند من وصف
فبهذا النور قد زاد الشغف
هذه الليلة يأتينا الحبيب
ولنا من رحمة الله النصيب
النبى صاحب الدين ولد
فى السما والأرض نور قد وجد
ومن النار إذا شئت النجاة
فعليه قل بعشق الصلاة^(٥)

فسليمان چلبى يرى أن من قال الصلاة على النبى حط الله عنه خطاياہ ، وهذا ما يبلغ به الجنة ولذلك يسمى مولده كذلك وسيلة النجاة ، أى أنه نظمها فجعلها منجاة له ، ولمن سواه

(٤) أوليا چلبى : سياحاتنامه ، ص ٥٣ . ايكنجى جلد (استانبول ١٣١٤هـ) .

(٥) حسين مجيب المصرى ، المولد الشريف ، ص ١٠٧ ، ١١١ (القاهرة ١٩٨١م) .

من عذاب السعير . فهذا مفهوم آخر نضيفه إلى ما سبق من مفاهيم أو من مزايا الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم .

وسليمان جلبي يكرر هذا البيت الذي يتضمن الصلاة على النبي مرارا في مولده، وما يضمنى على هذا المولد طابعا يمس شغاف أهل لا إله إلا الله، كما يكسبه إيقاعا وتنغيمًا يثير نشوة الإيمان .

وما أجد أن نذكر في هذا المقام أن أحمد رضا خان أخذ برأى من جوزوا الصلاة على آل صلى الله عليه وسلم وصحابته والأولياء، وغيرهم، ورد ذلك في عامة شعره .
إن أهل العلم اختلفوا في السلام : فقليل السلام يشرع في حق كل مؤمن حى وميت وحاضر وغائب^(٦) ونصادف ذكر السلام كثيرا مقترنا بالصلاة كما في أدعية العارف بالله سيدى الشيخ المختار الكونتى المتوفى عام ١٢٢٦ هـ . فهو القائل فى دعاء له :

اللهم صلى على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته وعشيرته وأتباعه وأشياعه وحزبه وأصهاره وأنصاره، كما صليت ورحمت وباركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد . وسلم عليه وعلى اله وأصحابه وأزواجه وذريته وعشيرته وأتباعه وأشياعه وحزبه وأصهاره وأنصاره أذكى سلام وأتم سلام وأعم سلام سلمت به على أحد من أنبيائك وأصفياك، من أهل أرضك وسمائك إنك حميد مجيد^(٧) .

أما الشمائل النبوية، فأول ما يقال فى صدد هذا أنها كانت موضع اهتمام خاص من أهل العلم، فقد أخرجوا فيها كتباً عدة، وشروحا تنوعت وتعددت فأصبحت مادة خاصة على حدة أخلى كثير من المؤلفين والمصنفين ذرعهم لبسط الكلام فيها . وتفصيل الأمر فى ذلك أنه صلى الله عليه وسلم ما قيل من أنه أحسن خلق الله خلقا وخلقا . . ولا غرو فى ذلك، فإن للمسلم أن يكون له فى رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة، والأسوة تكون بالتشبه به فى خلقه، وما دامت هذه المقولة تضم الخلق والخلق فما كان بدعا أن يكون الاهتمام كذلك بخلق الله عليه الصلاة والسلام .

جاء فى كتاب الترمذى، الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية مندرجا تحت باب خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر حديثا رواها الصحابة والتابعون رضوان

(٦) جلاء الأنهام فى الصلاة والسلام على خير الأنعام، ص ٢٦٢ .

(٧) المختار الكونتى، لب الأبواب فى الصلاة على النبى الأواب، ص ١٦ (القاهرة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م) .

الله عليهم، منها ما رواه سيدنا أنس بن مالك قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير، ولا بالأبيض الأمهق، ولا بالأدم، ولا بالجعد الققط، ولا بالسبط، بعثه الله تعالى على رأس أربعين سنة، فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة شر سنين، فتوفاه الله تعالى على رأس ستين سنة وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء».

وقال البراء بن عازب رضى الله عنه: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مربوعا، بعيد ما بين المنكبين، عظيم الجمة إلى شحمة أذنيه، عليه حلة حمراء، ما رأيت شيئا قط أحسن منه».

وقال على بن أبى طالب: «لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم طويل، ولا بالقصير، شثن الكفين والقدمين، ضخم الرأس ضخم الكراديس، طويل المسربة، إذا مشى تكفأ تكفؤا كأنما ينحط من صيب، لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم^(٨).
فهذه الأحاديث متداخلة متساندة لا يختلف أحدها عن الآخر إلا فى قليل، وهى تكاد تجمع معجم شمائله صلى الله عليه وسلم.

ولكننا نرى من الخير بعد هذا العموم أن نتقل إلى الخصوص، بمعنى أننا نريد أن نذكر هذه الشمائل كما وردت فى كتب الشمائل، وأن نتوخى أن يكون ما نذكره مطابقا لما جاء فى المنظومة السلامية.

فأول ما ذكره أحمد رضا الشعر فذكر استقامة مفرقه ولكن قالت عائشة رضى الله عنها: «كان شعر النبي صلى الله عليه وسلم فوق الوفرة، ودون الجمة»، وقالت أم هانئ: «قدم النبي صلى الله عليه وسلم مكة قدمة وله أربع غداير يعنى ضفاير»، وقال ابن عباس رضى الله عنهما: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم، وإن المشركون يفرقون رؤوسهم فسدل رسول الله صلى الله عليه وسلم ناصيته ثم فرق بعد». وقالت عائشة رضى الله عنها: «أنا فرقت لرسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه، صدعت فرقة عن نافوخه، وأرسلت ناصيته بين عينيه». وقال أنس بن مالك: «لما رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمرة ونحر هديه، ناول الحلاق شقه الأيمن فحلقة فناوله أبا طلحة ثم ناوله شقه الأيسر فحلقة

(٨) الترمذى، الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، ص ٧-٩ (بيروت ١٤١٦هـ-١٩٩٦م).

وأمره أن يقسم بين الناس»^(٩).

وبالذكر حقيق أننا بتلك الكيفية التى أوردنا فيها الأحاديث الشريفة والإشارة إلى ما جاء فى كلام أحمد رضا إنما نتحين الفرصة لزيادة النفع وتوسيع المعرفة ، كما أننا نزيد قول أحمد رضا إيضاحاً خاصة أنه ما كان فى الإمكان أن يقول أكثر مما قال فى شعر لا يتسع لأكثر من إشارات لأمحة .

ومما جاء فى أذنه قول أحمد رضا إنها تلقى السمع إلى البعيد والقريب ، ولكن لم تقع على وصف لها فيما بين يدينا من كتب الشمائيل .

أما جبينه صلى الله عليه وسلم فقال فيه شاعرنا : إن الجبين السعيد ازدان بتاج الشفاعة فهو بذلك يقرن بين المحسوس والمعنوى . ومما جاء فى جبينه صلى الله عليه وسلم قول أبى هريرة رضى الله عنه قال : «كان مفاض الجبين» ، وقال الحسن بن على عن خاله قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسع الجبين» .

أما حاجبه صلى الله عليه وسلم فيقول عنه أحمد رضا إن محراب الكعبة انحنى إجلالاً لحاجبه ، إنه لم يذكر صفته إلا أنه شبهه فى مخيلته فى هيئته بالمحراب فجعله منحنيًا مثله . وجميل أن يشبه الحاجب بالمحراب ، لأن فيه صورة جميلة توحى ضمناً بالتقديس . قال الحسن بن على عن خاله : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزج الحواجب ، سوابغ فى غير قرن ، بينهما عرق يدره الغضب» .

أما جفناه صلى الله عليه وسلم ففي السلامية أنهما يظلان عينيه على أنهما يظلان قصرًا للرحمة . ولكن فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه أنها كانت طويلة الأهداب وطول الأهداب من صفات جمالها .

أما عيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد جاء فيها أنها كانت أينما نظرت أحييت ما نظرت إليه كما كانت تغض من بصرها حياء . وهذا ما يضيف عليها قدرة إلهية خارقة وإن كانت ساجية النظرة فلقرط الحياء .

وجاء عند أبى داود أنه صلى الله عليه وسلم كان أشهل العينين أى يخالط سوادهما زرقة . وفى قول آخر أنه كان أشكل العينين أى طويل شق العين .

وفى قول آخر : «إنك إذا نظرت إليه صلى الله عليه وسلم قلت إنه أكحل العينين وليس

(٩) البيهقى ، دلائل النبوة ، ج ١ ، ص ١٦٩ - ١٧٠ (بيروت ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م).

بأكحل» والكحل سواد فى العينين يشبه الكحل ولكن من غير اكتحال .
كما قيل إنه صلى الله عليه وسلم كان مشرب العينين بحمرة . وفى قول إنه كان أسود
الحدقة» ، وفى قول : «إنه كان أدعج العينين» والدعج سواد العين مع سعتها .
ولقد أحسن أحمد رضا صنعا بخروجه من هذا الخلاف فى وصف هيئة هذه العين
الشريفة بأن أضفى عليها من خياله وشاعريته .
أما أنفه عليه الصلاة والسلام فأنف شامخ ، أى فيه شمم ، ومعلوم أن الشمم كناية عن
العزة والرفعة ، واعتزاز واحترام صاحب هذا الأنف بنفسه . كما أن جدع الأنف وإرغامه
دليل على الإذلال .
وجاء فى حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان أقنى العينين ، والقنا احدداب فى
الأنف .

وفى المنظومة أنه جميل الخد ، وجمال الخد دليل على جمال الوجه .
أما قامته صلى الله عليه وسلم فقد وصفها أحمد رضا بالرشاقة ، والرشاقة جمال
القامة ، وقد ورد وصفها فى أحاديث أسلفنا ذكرها .
أما صفة وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فيه البراء : «كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم أحسن الناس وجهاً» .
وسأله سائل : «أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حديداً مثل السيف؟ فقال :
لا ولكنه كان مثل القمر» .
وسأل رجل ، جابر بن سمرة قائلاً : «أكان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل
السيف؟ قال جابر : لا . بل مثل الشمس والقمر مستديراً» .
وقال كعب بن مالك : «لما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق
وجهه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُر استنار وجهه وكأنه قطعة قمر وكنا
نعرف ذلك منه» .
وقالت عائشة رضى الله عنها : «دخل النبى صلى الله عليه وسلم يوماً مسروراً وأسارير
وجهه تبرق» .

وأحمد رضا يتفق ما قاله تمام الاتفاق مع قول الصحابة عموماً وقول عائشة خصوصاً .
وأحمد رضا بعد ذلك ينتقل إلى راحة الرسول صلى الله عليه وسلم أخذاً مما جاء فى
كتب الشمائل ، وفى ذلك يقول أنس رضى الله عنه : «ما مسست يدي ديباجاً ولا حريراً

رَ شَيْثًا أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا شَمَمْتَ رَائِحَةَ أَطِيبٍ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وروى سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: «ما شَمَمْتَ شَيْثًا قَطْ، مَسْكَ وَلَا عَنَبْرًا أَطِيبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا مَسَسْتَ شَيْثًا قَطْ حَرِيرًا وَلَا دِيبَاجًا أَلَيْنَ مَسَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وعن أنس قال: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَزْهَرَ اللَّوْنِ كَأَنَّ عِرْقَهُ اللَّوْلُؤُ إِذَا مَشَى تَكْفَأُ وَمَا مَسَسْتَ حَرِيرًا وَلَا دِيبَاجًا أَلَيْنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».

وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه: «صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الْأُولَى ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ وَلَدَانِ فَجَعَلَ يَمْسَحُ جَدْيَ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدَيَّ، قَالَ فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّهَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُودَةِ عِطَارٍ».

وروى جابر بن يزيد بن الأسود عن أبيه قال: «أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَمْنِي فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَاوِلْنِي يَدَكَ، فَنَاوَلَنِيهَا فِإِذَا هِيَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلَاجِ وَأَطْيَبُ رِيحًا مِنَ الْمَسْكِ».

وعن عبد الجبار بن وائل قال: حَدَّثَنِي أَهْلِي عَنْ أَبِي قَالَ: «أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدَلُو مِنْ مَاءٍ فَشَرِبَ مِنْ الدَّلُوِّ ثُمَّ صَبَّ فِي الْبُئْرِ، أَوْ قَالَ شَرِبَ مِنَ الدَّلُوِّ ثُمَّ مَجَّ فِي الْبُئْرِ فَفَاحَ مِنْهَا مِثْلُ رَائِحَةِ الْمَسْكِ».

وعن أنس رضي الله عنه قال: «دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ عِنْدَنَا فَعِرْقٌ وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ الْعِرْقَ، فَاسْتَيْقِظَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا أُمِّ سَلِيمٍ مَا هَذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟ قَالَتْ: هَذَا عِرْقٌ نَجْعَلُهُ لَطِيبَنَا، وَهُوَ أَطْيَبُ الطَّيْبِ»^(١٠).

وهنا نقف وقفة لتبين أن أكثر من صحابي ذكر الطيب الذي ينبعث من جسد الرسول عليه الصلوة والسلام، مما يقوم دليلاً على أن طيب تلك الرائحة كان أمراً معلوماً عند الصحابة الذين كانوا يتبركون بتنسمها ويعجبون لذلك الشذا المنبعث من عرقه الشريف، مما يؤكد أن الله الذي اصطفاه وميزه في خلقه مما لم يميز به غيره. وهنا ترد على الخاطر مقولة

(١٠) البيهقي، دلائل النبوة، ج ١، ص ١٨٨ : ١٩١.

طالما نسمعها ممن يحضرون وفاة بعض الصالحين وغيرهم فيقولون : إن يدهم بعد الوفاة تتميز باللين وينسبون هذا اللين إلى صلاحهم معجيين ، والظن أنهم في هذا يذكرون ما قيل عنه عليه الصلاة والسلام من أن يده كان رخصة طيبة الريح .

جاء في البيهقي ذكر لحيته عليه الصلاة والسلام في أكثر من حديث تظم وصف لحيته ، وشاربه وغير ذلك من شمائله ، فقليل إنه كان أسود اللحية كثها عظيمها . قال على ابن أبي طالب كرم الله وجهه : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضخم الرأس واللحية » .

وعن محمد بن على عن أبيه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كث اللحية » . وعن سعيد بن المسيب أنه سمع أبا هريرة يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود اللحية حسن الثغر » .

وقال أبو جهم : « نزلت بالرجيع فقيل لى ههنا رجل قد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتيته فقلت : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم رأيته رجلا مربوعا حسن السبلة » .

قال وكانت اللحية تدعى فى أول الإسلام السبلة (١١) .

وإذا التفتنا إلى شاعرنا أحمد رضا ، رأينا يختص وصف اللحية الشريفة ببيتين متتالين ، وجدناه متأثرا بما تردد كثيرا فى الشعر الفارسى ، لما يسمى الخط ، والخط هو شعر اللحية أو الصدغ الخفيف ولونه يضرب إلى الخضرة ، وشبه بعشب حول ماء معين . وهذه صورة لها وقعها فى النفس ، لكنه بعد ذلك يذكر اللحية ثانيا ويجعلها بلسما ، والبلسم سائل عطرى يخرج من شجر باليمن وحول مكة ، تضمده به الجراح ، وجميل من أحمد رضا أن يشبه اللحية بالبلسم ، لأنه يقرن المحسوس بالمعنوى ، فلا يكتفى بالصورة بل يتجاوزها إلى أثرها ، فهذا البلسم يشفى الجراح ، فكأن للحيته صلى الله عليه وسلم خصوصية طيبة رقيقة ، فضلا عن صورتها التى أوردها فى تشبيهه لها فى هذين البيتين المتعاقبين .

أما فمه الشريف ، فعند أحمد رضا أن شفته ورد رقيق ، فهو لا يأتى بتشبيه غير تقليدى ، فقد درج شعراء الفارسية والتركية والأردية على تشبيه الشفتين بالبرعم ، إلا أنه يضيف إلى ذلك تشبيهه بما فيه من رقيق ، بأن له صفة البئر التى طاب ماؤها لمن رشف منه على ظمأ .

(١١) البيهقي ، دلائل النبوة ، ص ١٦٣ : ١٦٥ .

كما لا ينسى أن هذا الفم الشريف نطق بوحى الإله ، فتلك له خصيصة ما أجلها وأعظمها ، فهو لا يكتفى بالوقوف عند الهيئة أخذا من كتب الشمائل ، بل يضيف من عندياته ليذكر ما وراء ما تقع عليه العين ويدركه العقل وتصفو به الروح .

ويستوفى وصف الفم بالإشارة إلى اللسان وفى ذكره له يشبهه بمفتاح كنز ، وهذا اللسان ما قال إلا ما هو الحق المبين ، الذى يبدو كالشمس فى رائعة النهار . ونحن نعهد هذا ونعرفه من سيرته العطرة فقد عرف بالصادق الأمين والمصدق حتى قبل بعثته .

وبسط شاعرنا قوله فى وصف فمه الشريفة متعرضا لوصف أسنانه فقال إنها كالدرر ولها إذا بدت نور ، وروى عن الحسن بن على عن خاله أنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشنب مفلج الأسنان » ، والشنب حدة محببة فى الأسنان ، وقيل برد وعذوبة فيها .

وروى ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلج الشنيتين ، وكان إذا تكلم روى كالنور من ثناياه »^(١٢) .

وعلى الظن أن أحمد رضا أخذ هذا النور من قول ابن عباس رضى الله عنهما . وأحمد رضا كذلك كأنما لا يريد أن يفوته شئ فى الفم الشريف إلا ذكره ، فذكر لهاته ، وهى لحمة فى آخر الفم فيقول : « إن فيها حلاوة الشهد ويعجب لذلك لأن تلك الحلاوة من صنع الإله ، ولم نقع على ذكر للهاته فيما بين يدينا من كتب الشمائل .

ومعلوم أن التبسم خاص بالفم وأحمد رضا لا يصف التبسم كما يبدو فى رأى العين ، بل يتجاوز المادية إلى الروحانية ، فيقول : إنه إذا ما تبسم وشاهد أحد تبسمه كشف الله عنه ما أخذه من أسى .

ونلتفت إلى ما جاء فى كتب الشمائل فنجد^(١٣) أنه كان ما ضحكك إلا تبسما ، فكأن ما جاء فى تلك الكتب إنما كان مجرد خبر ، أما أحمد رضا فتقدم خطوة بأثر تبسمه فيمن شاهده يتبسم .

والبلسم نبات زراعى عطرى له ثمار حساسة تتلف عند اللمس^(١٤) .

(١٢) البيهقى ، دلائل النبوة ، ج ١ ، ص ١٦٣ .

(١٣) الترمذى ، الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية ، ص ٩٩ - ١٠٢ .

(١٤) الأمير مصطفى الشهابى ، معجم الشهابى فى مصطلحات العلوم الزراعية ، ص ٥٦ ، (بيروت ١٩٧٨ م) .

وهنا ندرك وجه الشبه فى تشبيهه لحيته الشريفة بالبلسم ويعيننا أنه نبات عطرى فكأن هذه اللحية عطرة كما أنها رقيقة الملمس مثل أوراق هذا النبات الذى ذكرناه، وبذلك ندرك وجه الشبه فى هذا التشبيه . فالأول هو الرقة ونعومة الملمس وجمال الرائحة، ولكن الشاعر لا يريد لهذا البلسم أن يكون دواء فيه للجراح الشفاء، بل يريد له أن يكون شفاء لجراح القلوب . وهذه روحانية يتجاوز بها المادة .

أما خاتم النبوة، فجاء فى أحاديث، أن هذا الخاتم كان بين كتفيه، وهو غدة حمراء مثل بيض الحمامة . كما قيل إنه شعرات مجتمعات، وقيل إنه بضعة ناشزة .

ومما جاء فى الخاتم ما قيل من أن سلمان الفارسي جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة بمائدة عليها رطب، فوضعها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا سلمان، ما هذا؟ فقال: صدقة عليك وعلى أصحابك، فقال: «ارفعها، فإننا لا نأكل الصدقة» . قال: فرفعها، فجاء الغد بمثله، فوضعه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «ما هذا يا سلمان؟ فقال: هدية لك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «أبسطوا» ثم نظر إلى الخاتم على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمن به .

وكان سلمان لليهود، فاشتره رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا^(١٥) درهما . فرؤية سلمان الفارسي لهذا الخاتم أقنعتة فى يقين جازم بأنه علامة للنبوة، فرق للإسلام قلبه .

أما «أحمد رضا» فيحسن أيما إحسان فى تشبيه هذا الخاتم بالحجر الأسود، ولكن هذا الحجر ليس لبيت الله، بل لكعبة روح، وهذا منه هو التناهى فى الشعرية والروحانية . أما ساعده ويده صلى الله عليه وسلم فيجمعهما فى بيت واحد يشبه الساعدين بعمودين يقيمان بيتا للدين، وهذا رمز إلى أنه بذل ما بذل من مسعى وجاهد ما جاهد من جهاد لرفع كلمة الحق والدين .

أما اليد فجاء فى الأحاديث أنها شثنة ورخصة، وطيبة الريح، ولكن أحمد رضا لا يذكر هذا، مما يقع فى الحس ويبدو فى مرأى العين، بل يشبه ما فيها من خطوط بخطوط توج بنور، كما يموج البحر بأمواج مزيدة . فهو يتجاوز الحقيقة بالمجاز إلا أن مجازة يشير فى وضوح إلى الدين القويم الذى جاء به سيد المرسلين فكان نورا بدد الدياجر .

(١٥) الترمذى، الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، ص ١٤ : ١٦ .

كما أن الشاعر يشير إلى معلومة متعارفة وهى : «أن الماء العذب تفجر من بين أصابعه الشريفة ، وتلك خارقة لا شك فيها ، خاصة به صلى الله عليه وسلم ، إلا أن كتب الشمائل التى وقعت لنا اكتفت بوصف أصابعه ليس إلا .

كما أن أحمد رضا يشبه أظافره الشريفة بالأهلة ، وهو تشبيه رائع فكأنه أهبط الهلال من سمائه ليكون فى طرف أصبعه .

كما يقول إن كل قلب يسعد برؤية هذا الهلال ، وهذا الهلال لا يبدو جميلا فى السماء ، ويشع نورا وكفى ، بل إن من رآه وجد السعادة تملأ رحاب نفسه .

ويأتى بعد ذلك شق صدره الشريف . يقول المقرئ : «شق فؤاده المقدس عند حليلة ، فى بنى سعد ، وملئ حكمة ، وإيماناً ، بعد أن أخرج حظ الشيطان منه» .

وروى البخارى فى الصحيح : «شق صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج» . وقد استشكله أبو محمد بن حزم . ثم ردته حليلة بعد شق فؤاده إلى أمه أمنة وهو ابن خمس سنين وشهر ، وقيل ابن أربع سنين ، وقيل سنتين وشهر^(١٦) .

أما صاحب السلامة فاكفى بقوله إن الله رفع ذكره وشق صدره . فالمدرک من قوله أن الله - عز وجل - كرمه ورفع ذكره بشق صدره .

أما قناعته بالقليل من طعامه ، فمن المتعارف المعلوم أنه كان يأكل خبز الشعير ، فقد روت السيدة عائشة رضى الله عنها قالت : «ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم» .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت الليالى المتتابعة طاويا هو وأهله لا يجلدون عشاء ، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير» .

وعن سهل بن سعد أنه قيل له : أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى ؟ يعنى الحوارى - فقال سهل : ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقى حتى لقي الله تعالى ، فقيل له : هل كانت لكم مناخل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ما كانت لنا مناخل . فقيل : كيف كنتم تصنعون بالشعير ؟ قال : كنا ننفخه فيطير منه ما طار ثم نعجنه .

روى قتادة عن أنس بن مالك قال : «ما أكل نبي الله صلى الله عليه وسلم على خوان

(١٦) المقرئ ، إمتاع الأسماع ، ج ١ ، ص ٦ (القاهرة ١٩٤١م) .

ولا فى سكرجة ، ولا خبز له مرقق . قال : فقلت لقتادة : فعلام كانوا يأكلون؟ قال : على هذه السفّر .

وعن الشعبى عن مسروق قال : دخلت على عائشة فدعت لى بطعام وقالت : ما أشبع من طعام ، فأشاء أن أبكى إلا بكيت . قال : قلت لم؟ قالت : أذكر الحال التى فارق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا ، والله ما شبع من خبز ولا لحم مرتين فى يوم واحد . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : «ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض» (١٧) .

ونحن نرى أن هذا منتهى الغاية فى الزهد والقناعة ، وأنه كان صلى الله عليه وسلم مخشوشنا إلى آخر مدى ، وتلك ولا ريب صفة من صفات الكمال لمن يباعد بينه وبين زخرف الدنيا ، ويشيح عنها متطلعا إلى الآخرة ، وهى خير وأبقى . إنه بذلك يعرض الأسوة الحسنة ويضرب المثل فى القناعة ، وحسبنا فى هذا الصدد أن نقول تلك المقولة التى تجرى على الألسنة ، وهى إن القناعة كنز لا يفنى .

وشاعرنا يؤكد ذلك فى فرط إعجاب منه ويضيف إلى ذلك ، أنه لم يخشوشن فى طعامه ليس إلا ، وفى المال كذلك ، فما كان صلى الله عليه وسلم ذا رغبة فى سعة المال بل عفت نفسه عن ذلك .

أما شفاعته صلى الله عليه وسلم فليس بخاف أنه النبى الأوحى بين النبیین الذى نال شرف أن يكون شفيعا لأمته يوم تقوم الساعة .

وهنا نورد ما ذكر الشاعر التركى القديم سليمان جلى فى مولده فى فصل تحت عنوان : مرضه صلى الله عليه وسلم :

جاء جبريل وقال للنبي
السلام لك من رب على
إنه يسأل عنك ويقول
لحبيبي سؤله منى القبول
ما رجائي قال ، إلا أمتى
منذ دهر من إلهى منيتى

(١٧) الترمذى ، الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية ، ص ٦٣ : ٦٥ .

أمتى همى وكل شاغلى
بسواها لا يطيب العيش لى
كم دعوت الله فى صبحى وليلى
قلت عنها اصفح وسامحها لأجلى
جاء بعد العود جبريل الأمين
بسلام لشفيع المذنبين
قال لطف الله إياك غمر
فلهذى الأمة الذنب اغتفر
أنت هذا منه كنت ترتجيه
يا لقلب بسرور ماج فيه
كلما العمر به كان يطول
أمتى يا أمتى كان يقول
آخر العهد به من همته

برهة لم ينس ذكر أمته (١٨)

فى هذه الأبيات يخبرنا سليمان جلى بأنه صلى الله عليه وسلم إلى أى حد بعيد كان محبا لأمته، لا تغيب عن خاطره مصبها وممسيا، بل إنه فى مرضه الأخير قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى ويزايل دار الفناء إلى دار البقاء، كان آخر ما ذكره أمته، وكانت شفاعته لها منيته، وذلك ما سأل الله أن يهبه إياها، فبشره جبريل عليه السلام بأن دعاءه صادف عند ربه حسن القبول.

أما عند ذكر ركبته الشريفة فلم يزد الشاعر على أن يقول: إن كل نبى جثى عنده على ركبته - وتبعه فى الطريق الذى سلكه، فهو لم يذكر صفة هذه الركبة، بل ذكر أنهم جثوا عليها لإجلالها وإعظاما للرسول صلى الله عليه وسلم.

أما عن رضاعته صلى الله عليه وسلم فقد قالت حليلة مرضعته أنها وجدت فيه منذ أخذته كل البركة، فقد سمعت غنمها وزاد لبنها وبارك الله لها فى كل ما عندها. وأقام

(١٨) حسين مجيب المصرى، المولد الشريف، الترجمة المنظومية عن التركية لسليمان جلى، ص ١٨٢، ١٨٣ (القاهرة ١٩٨١م).

محمد فى الصحراء سنتين ترضعه حليلة وتحضنه ابنتها الشيماء^(١٩) .
ولكن أحمد رضا يقول إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتنحى عند الرضاع لمن
يرضعون ، فكان الكرم والإيثار كان من أكمل خصاله منذ فجر حياته .
وقيل إنه لما بلغ الثانية قال زوج حليلة :

الحمد لله الذى أعطانى

هذا الغلام الطيب الأردانى

قد ساد فى المهده على الغلمان

أعيذه بالبيت ذى الأركان^(٢٠)

أما عن بكائه صلى الله عليه وسلم فقد أشار الشاعر أنه كان يبكى يريد لذلك أنه كان
يبكى ليلا .

جاء فى بكاء النبى صلى الله عليه وسلم ، أن قال أحدهم : أتيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يصلى ، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء .

وبهذا يقوم الدليل أنه كان يبكى من خشية الله ، وهو فى نشوة روحية غامرة حاملة .
وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
«اقرأ علىّ» ، فقلت : يا رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال :
«إني أحب أن أسمعه من غيرى» . فقرأت سورة النساء حتى بلغت : ﴿وجئنا بك على
هؤلاء شهيدا﴾ [سورة النساء / ٤١] قال : فرأيت عيني رسول الله تهملان .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنة له
تقضى ، فاحتضنها ، فوضعها بين يديه ، فماتت وهى بين يديه ، وصاحت أم أيمن فقال :
يعنى النبى صلى الله عليه وسلم : «أتبكين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؟» فقالت :
ألست أراك تبكى؟ قال : «إني لست أبكى ، إنما هى رحمة ، إن المؤمن بكل خير على كل
حال ، إن نفسه تنزع من بين جنبيه وهو يحمد الله عز وجل»^(٢١) .

وقوله صلى الله عليه وسلم : إن الباعث على هذا البكاء هو الشعور برحمة يخفق بها

(١٩) محمد حسين هيكل ، حياة محمد ص ٧١ (القاهرة ١٣٥٤هـ) .

(٢٠) المسعودى ، مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٣٩٨ ، ٣٩٩ (القاهرة ١٣٤٦هـ) .

(٢١) الترمذى ، الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية ، ص ١٤٤ : ١٤٦ .

قلبه . والرحمة من النعم التى أسبغها الله على قلب المؤمنين .

فمولانا أحمد رضا بسط القول كل البسط فى شمائل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وألفيناه أخذاً عما جاء فى أمهات الكتب التى تضمنت ذكراً لشمائله ، أخذاً من أحاديث نبوية شريفة ، وقد زاد فى بعضها من شاعريته فزادها حسناً على حسن ، وإن وصف شمائل الرسول صلى الله عليه وسلم على تلك الكيفية إذا تلقاها المتلقى تخيل أنه لقيه صلى الله عليه وسلم وطوبى لمن لقيه ، وتلمس منه بركات وبركات .

ثم يعرض شاعرنا لبعض رجال كانوا حول الرسول ، فيذكر حمزة بن عبد المطلب ، وحمزة فى تاريخ الإسلام ذكر طويل ، فهو عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما أنه كان مضرب المثل ، ويلقب بأسد الله لنجدته وبسالته ، لقد خاض الغمرات فى غزوة أحد ، لكن طعنه من يسمى وحشى ، وهو غلام حبشى لمولى مطعم بن جبير ، الذى أغراه بقتله ، وهو يمينه بعثته إن تم له ذلك . وقد طعنه برمح ملتصقاً منه غرة ، ولما غرس الرمح فيه بلغ من قوة حمزة وشجاعته أن حاول أن يفتك بقاتله ، ولكنه عجز وخر صريعاً ، فجاءت هند بنت عتبة زوجة أبى سفيان ، وبقرت بطنه واستخرجت منه كبده فلاكته ثم لفظتها^(٢٢) لفرط حقدتها وفساد قلبها . وقد أمر صلى الله عليه وسلم بجمع قتلى المسلمين إلى جنب عمه حمزة ، وصلى عليهم ، ثم أمر بدفنهم .

ويمتد بشاعرنا السياق ليذكر بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويذكرها ، بأكرم وأعظم ما تذكر به إحدى نساء المسلمين ، فهى عفيفة محتشمة لا ترى الشمس قط خمارها كما أنها ريحانة أبيها عليه الصلاة والسلام .

أول ما يقال فى السيدة فاطمة رضى الله عنها ، أنها دخلت التاريخ الإسلامى على نحو لم تدخله أخرى ، لقد ولدت قبل مبعث والدها صلى الله عليه وسلم بسنوات خمس . واتفق أن كان مولدها فى السنة التى قبلت فيه قريش تحكيم أبيها فى وضع الحجر الأسود ، بعد أن وقع الخلاف بين قريش . فرأى فى ذلك صلى الله عليه وسلم البشرى ، وأيقن باليمن والبركة ، واحتفل بمولدها على نحو غير معهود . وكانت طفولتها سعيدة هائلة ، فقد كانت ريحانة والديها ، وكانت أخواتها تحبها الحب كله ، ولما تزوجن حزن لفرقهن كل الحزن ، وبذلك يقوم الدليل على فرط محبتها لهن . واتفق أن طلب يدها أبو بكر وعمر

(٢٢) اليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ، ص ٤٨ (لیدن ١٨٨٣ م) .

رضى الله عنهما - إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم ردهما في لين ورفق، ولكن أصحاب على رضى الله عنه زينوا له خطبة فاطمة الزهراء لقربته من أبيها، ورفعة منزلته عنده. وتقدم لخطبتها، فرحب النبي صلى الله عليه وسلم قائلا: «مرحبا وأهلا». ولم تكن الزهراء في بيت الزوجية مترفة، تتقلب في أعطاف النعيم، بل كانت متقشفة قانعة بالقليل مما يقوم برهاناً على تقواها. ولما وضعت الحسن رضى الله عنه في السنة الثالثة من الهجرة فقرت بذلك عين أبيها صلى الله عليه وسلم وحمل الوليد وتلا الأذان في أذنه.

واحتفلت مدينة الرسول بمولد الحسن، وبعد عام وضعت شقيقه الحسين، فسعد به جده. وقد أسبغ الله تعالى نعمة ما بعدها نعمة فكان في ولديها الحسن والحسين ذرية نبيه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه. ولقد سأل عليّ - كرم الله وجهه - صهره النبي ذات مرة متلطفاً: أيهما أحب إلى رسول الله، ابنته الزهراء، أم زوجها عليّ؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «فاطمة أحب إليّ منك، وأنت أعز عليّ منها» (٢٣).

كان صلى الله عليه وسلم يحبها لأنها التي بقيت من ولده، وانتقل إلى الرفيق الأعلى في حياتها، ولذا كان يقول: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة». كما قال: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني».

ولقد أدركها الموت عام إحدى عشرة للهجرة، وهي ابنة تسع وعشرين سنة (٢٤). ومما أسلفنا ذكره يتوضح لنا علو قدرها ورفعة شأنها رضى الله عنها. وعاد أحمد رضا إلى ذكر الرجال، فذكر الإمام الحسن رضى الله عنه فقال: إنه كان سخياً جزيلاً العطاء، كما أن جده صلى الله عليه وسلم كان له محباً مدلاً مقبلاً. ولما بويع بالخلافة بعد استشهاد أبيه قام في الناس خطيباً يقول: «نحن حزب الله المفلحون، وعتره رسول الله صلى الله عليه وسلم الأقربون وأهل بيته الطاهرون الطيبون، فأطيعونا، فإطاعتنا مفروضة، إذا كانت بطاعة الله والرسول وأولى الأمر مقرونة» (٢٥). إلا أن خلافته لم تطل، فقد تخلى أهل العراق عنه، فتنازل عن الخلافة حقناً لدماء

(٢٣) دكتورة عائشة عبد الرحمن، تراجم سيدات بيت النبوة، ص ٥٧٣ - ٦٤٢ (القاهرة ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨).

(٢٤) دكتور عبد الحسيب حميدة، أدب الشيعة، ص ١٦٥ (القاهرة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م).

(٢٥) المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٢.

المسلمين عام ٤١ هـ، ودخل معاوية الكوفة، حيث أخذت له البيعة بحضور الحسن والحسين، ثم مضى الحسين إلى المدينة وهناك لزم داره إلى أن توفاه الله، وقيل إنه رضى الله عنه مات مسموماً.

ويقتل شاعرنا إلى الحسين رضى الله عنه، فيجعله شهيد البلاء وهو فى ذلك متأثر من تسمية كربلاء من كرب وبلاء التى دارت فيها رحى القتال بين الحسين وجيش يزيد، ودارت الدائرة على الحسين لأن أهل العراق خذلوه وانفضوا من حوله، وإن أدركهم الندم من بعد وتابوا من ذلك وأنابوا فعرفوا بالتوايين والبكائين.

وكانت واقعة كربلاء سبيلاً فى نشأة فن من الشعر فى العربية والفارسية والتركية والأردية، وهو شعر مرثى آل البيت، وقد دارت هذه المعركة سنة إحدى وستين للهجرة.

وتحدث الشاعر عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه، ولكن فى إشارة لأمحة فقال سلام عليه فى النجف حيث مرقد الشريف.

لقد أسلم كرم الله وجهه وهو ابن خمس عشرة سنة، وقيل أربع عشرة وقيل ستة عشرة سنة، وهو أول من صلى مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وعنه كرم الله وجهه قال: قال رسول الله صلوات الله وسلامه عليه: «يا على إنك أول من يقرع باب الجنة فتدخلها بغير حساب بعدى».

وعن عائشة رضى الله عنها سئلت أى الناس أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: «فاطمة»، فقيل من الرجال، قالت: «زوجها، إن كان ما علمت صواماً قواماً»، وعن البراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «على منى بمنزلة رأسى من جسدى». وعن سعد بن أبى وقاص أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعلى: «أنت منى بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبى بعدى»، ومما يؤكد علو منزلته رضى الله عنه عند النبى أنه اختاره لإعطائه الراية يوم فتح خيبر ليفتحها، وفى ذلك يقول سهل بن سعد رضى الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال، لأعطين الراية غدا رجلاً يفتح الله على يديه. قال: فبات الناس يدركون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «أين على بن أبى طالب» قالوا: يشتكى عينيه يا رسول الله. قال: «فأرسلوا إليه»، فلما جاء بصق فى عينيه ودعا له فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع وأعطاه الراية، فقال على: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، قال ابتدأ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب

عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم» (٢٦).

وهذا من قواطع الأدلة على إثبات النبى له وثقته به .

وينعطف أحمد رضا بالكلام من بعد نحو السيدة خديجة رضى الله عنها ، فأرشد إلى موقفها من سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وكيف ساندته وعضضته وكانت أول من آمن به من النساء . وقيل أن جبريل عليه السلام جاء إلى النبى وقال : «إن الله عز وجل يقرأ عليها السلام» .

وكيفية الحال فى ذلك أن نبى الهدى تزوجها قبل البعثة ، وقد اختارها زوجة عربا لحكمتها ورأيها السديد . وكان من نعمة الله على النبى أن هيا له أن يتزوج السيدة خديجة لصالح الدعوة الإسلامية وحسبنا أن نشير إلى أنها كانت أول من آمن به .

ولما جاء جبريل عليه السلام للنبى صلى الله عليه وسلم فى غار حراء ، رجع إلى زوجته وقد خفق فؤاده . ولما دخل عليها قال : زملونى زملونى ، إلى أن ذهب عنه الروح وأحس بسكون نفسه بعد أن دخلتها الخشية ، فأخبرها الخبر وقال لها : لقد خشيت على نفسى ، فقالت له : أبشر ، كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق . . « وهذا من كلامها جاء فى الصحيحين .

وكان صلى الله عليه وسلم يؤثرها ولا يؤثر عليها . لقد طالت العشرة بينه وبينها خمسة وعشرين عاما ، منها خمسة عشر عاما قبل البعثة ، وعشر سنين بعدها ، ورزق منها جميع ولده ما عدا إبراهيم (٢٧) .

والترتيب بعد ذلك على السيدة عائشة رضى الله عنها ، وأول ما يخطر على البال من أمرها أن النبى فقد بفقده عمه أبى طالب وزوجته خديجة رضى الله عنها ، ركنين كان يستند إليهما ، ولكن الله عوضه وأيده فوقع فى قلبه حب أبى بكر الصديق وابنته عائشة رضى الله عنهما ، فأصبحت زوجته العروب الطاهرة .

كانت رضى الله عنها من أشد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم حدة ذكاء وأكثرهم حديثا ترويه عن سيد المرسلين ، وكانت واسعة العلم بأمور الدين ، ويؤيد ذلك ما

(٢٦) المحب الطبرى ، الرياض النضرة فى مناقب العشرة ، ج ١ ، ١٥٣ - ١٨٤ (القاهرة) .

(٢٧) محمد على الصابونى ، شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ، ص ٣٤ : ٣٧ (مكة المكرمة) .

يروى من قوله صلى الله عليه وسلم: «خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء». وبلغ من سمو منزلتها أن جبريل عليه السلام كان يقرأ عليها السلام، وهو بذلك يختصها به دون غيرها. وهذا ما ذكره أحمد رضا في السلامة. .
وشاعرنا يذكرنا بما قال ميزة خاصة لعائشة .

وروى أبو موسى رضى الله عنه قال: «ما أشكل علينا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علما» (٢٨).

رجاء بعد ذلك ذكره لشهداء بدر والعشرة المبشرين بالجنة .
قال صلى الله عليه وسلم: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلى في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن ابن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة عامر بن الجراح في الجنة، رضى الله عنهم أجمعين» .

قال الحافظ بن حجر العسقلاني في العشرة المبشرين بالجنة :

لقد بشر الهادى من الصحب عشرة

بجنات عدن كلهم قدره على

عتيق سعيد سعد عثمان طلحة

زبير ابن عوف عامر عمر على

وعن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال: «دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزل عائشة رضى الله عنها فقال: يا عائشة ألا أبشرك. قالت: بلى يا رسول الله، فقال: أبوك في الجنة ورفيقه إبراهيم، وعمر في الجنة، ورفيقه نوح، وعثمان في الجنة، ورفيقه أنا، وعلى في الجنة، ورفيقه يحيى بن زكريا، وطلحة في الجنة، ورفيقه داود، والزبير في الجنة، ورفيقه إسماعيل، وسعد بن أبى وقاص في الجنة، ورفيقه سليمان، وسعيد بن زيد في الجنة، ورفيقه موسى بن عمران. وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، ورفيقه عيسى بن مريم، وأبو عبيدة عامر بن الجراح في الجنة، ورفيقه إدريس عليه السلام. ثم قال صلى الله عليه وسلم: يا عائشة أنا سيد المرسلين وأبوك أفضل الصديقين وأنت (٢٩) أم المؤمنين .

(٢٨) محمد محمود الصواف، زوجات النبی الطاهرات، ص ٢٩-٣١ (القاهرة ١٩٧٩م).

(٢٩) دكتور سيد الجمیلی، العشرة المبشرون بالجنة، ص ٨، ٩، ١٨، ٢٠ (بيروت ١٩٨٨م).

وفى هذا ما فيه من وضوح الدلالة على ما لهؤلاء من رفعة المنزلة .
ومن مستطرف ما يعرف فى شبه القارة الباكستانية الهندية أن الاحتفال بالمولد النبوى الشريف يبدأ ويختتم بإنشاد أبيات من السلامية ، كما أن النساء بمناسبة المولد النبوى وبمناسبة عيد الفطر وعيد الأضحى يجتمعن فى بيت إحداهن ليشنفن الأسماع بإنشاد من تنشد السلامية بصوت بلبل ، وذلك فى كل ما وسعت المدن والقرى من أحياء .

ويتنقل بنا أحمد رضا إلى ذكر أبى بكر الصديق رضى الله عنه .
هو أبو بكر بن أبى قحافة ، أول من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقب بالعتيق لعنته من النار ، وقيل لحسن وجهه ، وقالت السيدة عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم : «أبو بكر عتيق الله من النار» .

وأجمعت الأمة على تسميته صديقا لأنه أول من بادر بتصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ولزم الصديق .

قال حسان بن ثابت رضى الله عنه شاعر الرسول :

إذا تذكرت شجوا من أخى ثقة

فاذكر أخاك أبا بكر بما فعل

خير البرية أتقاها وأعدلها

بعد النبى وأفأها بما حملا

والثانى التالى المحمود مشهده

وأول الناس قدما صدق الرسلا^(٣٠)

وتولى أبو بكر بعد الرسول سنة اثنتى عشر من الهجرة واتفق أنه ارتد بعد الأعراب فوعظهم إلا أن الموعظة لم تجد معهم ، فجهز إلى كل طائفة منهم جيشا ، فتوجهت الجيوش إليهم وقتلتهم ، وكانت الغلبة للجيوش الإسلامية ، كما جهز جيوشا لفتح الشام غير أنه توفى عام ثلاث عشرة من الهجرة وما زالت رحى القتال دائرة^(٣١) .

وبذلك يكون أبو بكر وطد دعائم الإسلام وبدأ ينشره فى الآفاق .

وأحمد رضا يلتفت من بعد إلى عمر بن الخطاب فيجعله تقيا ورعا ، ويقول إنه كان صاحب مشورة أبى بكر وذلك لرجاحة عقله وسداد رأيه .

(٣٠) محمد رضا ، أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين ، ص ٨ : ١٠ (بيروت ١٩٨٣) .

(٣١) ابن طباطبا ، الفخرى ، ص ٥٢-٥٤ (القاهرة ١٣٤٥ هـ-١٩٢٧ م) .

ويقول التاريخ إن النبي صلى الله عليه وسلم لقبه بالفاروق لأنه كان عدلا يحكم بالقسطاس المستقيم ، ويفرق بين الحق والباطل ، وبه أعز الله الدين الخنيف .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا ابن الخطاب ، والذي نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فحا قط ، إلا سلك فجا غير فجك» .

وقال عليه الصلاة والسلام : «جعل الله الحق على لسان عمر وقلبه» .

وكان عمر رضى الله عنه شديدا فى الحق قويا على أعدائه ، وبلغ من فضله أنه فى مواطن عدة كان الآخرون يدلون بأرائهم ، ثم يبدى هو رأيا مغايرا ، فكان ينزل القرآن موافقا لرأيه هو (٣٢) .

وشاعرنا أحمد رضا يقول إن رأيه مشبه لقول النبي ، كما أنه عدل منقطع النظير فى عدله .

والنقلة بعد ذلك إلى عثمان بن عفان الذى سماه أحمد رضا ، عابدا زاهدا فى النعم ، وهو مثال الكرم ، جمع كتاب الله . ثم يصف استشهاد .

سمى بذى النورين لأنه تزوج بابنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يسبق أن تزوج أحد ابنتى نبي من قبل .

كان عثمان رضى الله عنه دمث الخلق طيب النفس ، سمحا ، جم التواضع والحياء ، كما كان صواما قواما ، وقد اتسعت الدولة الإسلامية على عهده فى الفتوح ، وهو الذى أرسل إلى أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضى الله عنها لتسلم ما عندها من صحف القرآن لنسخها فى المصاحف ، فتسلمها منها وأمر بنسخها فى المصاحف .

وأهل السنة تجتمع كلمتهم على أن قاتليه إنما قتلوه ظلما ، ومن استحل دمه فقد كفر (٣٣) .

أما على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، فشاعرنا يستغيث به على أنه شجاع خواض غمرات ، كما أنه له الدرجة ، لأنه فى الجنة يطوف بالماء على من يريدون شربه ، وبين كيف حارب الروافض ، والخوارج ، ورد عاديتهم ، ومن شجاعته وقوته أن حمل باب خيبر . وتبدو القربى بينه وبين المصطفى صلى الله عليه وسلم من قوله صلى الله عليه وسلم لعلى : «أنت منى وأنا منك» .

(٣٢) دكتور سيد الجميل ، العشرة المبشرون بالجنة ، ص ٤٩ ، ٥٦ (بيروت ١٩٨٨م) .

(٣٣) محمد رضا ، عثمان بن عفان ، ص ١٩٧ (بيروت ، ١٩٨٢م) .

وقالت أم سلمة رضى الله عنه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يحب على منافق لا يغيظه مؤمن » .

كان فارسا مغوارا ، كما كان قوى الحجة ذرب اللسان ناصع البيان . وفى خلافته عنى برعيته فسن قانونا لولاته وعماله على المسلمين وقيل فى وصفه ، إنه كان علم الهدى وكهف التقي ، ومحل الحجى ، وبحر الندى ، وطود النهى ، وكهف العلى ، كان متمسكا بالعروة الوثقى ، خير من آمن واتقى ^(٣٤) .

ثم يقول أحمد رضا إن الله حما أهل البيت رضوان الله عليهم من أعدائهم الذين أطالوا عليهم اللعن بالستهم حدادا .

ويشير أحمد رضا بعد ذلك إلى الإمام على الملقب بزين العابدين السَّجَّاد كذلك أصغر أبناء الإمام الحسين رضى الله عنهما ، والرجل الوحيد الذى بقى حيا من أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم الذين شاهدوا معركة كربلاء ، حيث كان مريضا مقعدا ، فما قاتل ، وعده الشيعة إمامهم الرابع ، ولقب بالسجاد لفرط تقواه ، وكان كثير السجود ، كما كان مشهودا له بالزهد والورع .

قيل لما رجع من الشام مع السبابا إلى العراق زار قبر أبيه الحسين فى كربلاء ، فبكى عليه بكاء مرا ^(٣٥) .

ويذيل منظومته بذكر الأئمة الأربعة رضى الله عنهم وهذا فيه الدلالة على أن أحمد رضا يسترسل على سجيته ، وأى عجب فى ذلك ، وهو ذلك الفقيه الإمام .
إنه كان حسبه أن يشير إليهم فى لمحة دالة ، وخاصة أنهم أعرف من أن يعرفوا ، والإشارة إليهم نافلة لأنها بعد ذكر النبى صلى الله عليه وسلم وآل بيته وصحابته .

كما أشار إلى المتصوفة ، وهم كثر ومنهم : عبد القادر الجيلانى الذى أشرنا إليه من قبل فى سيرة أحمد رضا . كما لم يفته ذكر شيخه وهما آل الرسول وحفيده أحمد النورى الذى أخذ عنهما وسمع منهما ، وإنما ذكرهما على سبيل الوفاء لذكرهما عنده ، ومنزلتهما فى نفسه ، وإقراره بفضلهما عليه .

ثم يصل بمنظومته إلى خاتمتها بالتوسل بالدعاء وكأنما شاء أحمد رضا خان أن يغمر منظومته جو دينى روحى ، وكانت أفكاره تتداعى من فكرة دينية إلى أخرى ، ومن ذكر إمام

(٣٤) دكتور سيد الجميل ، العشرة المبشرون بالجنة ، ص ١١٦ (بيروت ١٩٨٨ م) .

(٣٥) إبراهيم الحيدرى ، تراجيدا كربلاء ، ص ٩٤ ، ١٤٩ ، ٣١٧ ، (بيروت ١٩٩٩ م) .

قطب من أقطاب الدين إلى قطب آخر ، وبذلك كانت عناصر منظومته متجانسة متطابقة .
وثمة ملحظ له ما له من أهمية ذلك أن الباكستانيين يسمون مدحة مولانا أحمد رضا
بردة المديح النبوى فى اللغة الأردية ، وهذه التسمية باعثا على عقد مقارنة بين المدحيتين .
وأول ما يجدر الإشارة إليه فى هذا الصدد هو التسمية بمنظومة أحمد رضا تحت عنوان
السلامية ، نسبة إلى تكرار كلمة السلام ، وهذا التكرار كما أسلفنا له وقعه فى المبنى ، لأنه
يحيط المنظومة بهالة روحية ونشوة تطيب بها العقول المتدبرة والنفوس المؤمنة العامرة بحبته
عليه أفضل الصلاة وأتم التسليمات .

أما قصيدة البوصيرى المسماة بـ «نهج البردة» نسبة إلى بردة النبى صلى الله عليه وسلم
وتفصيل الكلام فى هذا أن البوصيرى ضربه الفالج الذى أبطل نصفه فقام فى نفسه أن ينظم
قصيدة فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، واستشفع بها إلى الله تعالى رجاء أن يمسح
ما به من وجع ، وكرر إنشاد تلك القصيدة . ورأى فيما يرى النائم كأن سيد الخلق صلى الله
عليه وسلم مسح بيده الشريفة على وجهه ، وألقى عليه برده . وانتبه فرأى أنه عوفى من
الفالج . فاستطاع أن ينهض من فراشه ويخرج من داره فلقية أحد الفقراء وطلب إليه أن
يعطيه القصيدة التى مدح بها سيد الخلق ، فقال له : أى قصيدة ، فقال : التى قلتها وأنت
طريح فراش المرض وذكر استهلالها ، وقال له : إنه سمعها وهى تنشد بين يدي الرسول
صلوات ربي وسلامه عليه ، وقد أعجبت به ، وألقى على من أنشده إياها برده . ثم تابع
البوصيرى قوله : فذكر أنه أعطاه تلك القصيدة ، وشاع خبر الرؤيا التى رآها فى
الناس^(٣٦) . ويستبين لنا من ذلك أن البوصيرى بتسميته لقصيدته بالبردة ذكر السبب وأراد
المسبب .

وليس الشأن كذلك عند أحمد رضا ، فنحن لا نعرف سببا لنظمه ما نظم إلا فرط محبته
لرسول صلى الله عليه وسلم وأنه نذر عمره لمدحه ، وبذلك عرف كأشهر من مدح سيد
المرسلين .

والبوصيرى نسبة إلى أبو صير ، فقد كان أحد أبويه من تلك القرية ، وهى قرية من
أعمال بنى سويف بصعيد مصر ، ومات بالإسكندرية عام ٦٩٧هـ وقبره مزار مشهور . وهو
شاعر مصرى يميل فى شعره إلى الدعابة . وفى شعره ذكر لأوضاع المجتمع من حوله وفساد

(٣٦) د. زكى مبارك، المدائح النبوية فى الأدب العربى، ص ١٤٧، ١٤٨ .

ذمة موظفى الدولة . . كما يشير إلى جفوة وقعت بين الأقباط والمسلمين فى أيامه .
أما أحمد رضا ، فكان رجل دين بتمام المعنى ، وقد شغله اهتمامه بالدين وطلبه عمره
عن أن يكون شاعرا يصف الأوضاع فى مجتمعه اللهم إلا إشارة لامحة منه إلى ظلم
المستعمرين ، كما هجا زعماء الهندوس ، وهذا من كلامه له طابع سياسى واضح .

والبردة تقع فى اثنين وثمانين ومائة بيت . أما السلامية ففى واحد وسبعين ومائة بيت .
والبوصيرى يستهل قصيدته بالنسيب ، أما أحمد رضا فيدخل على المدح دخولا مباشرا
حتى إن بعضهم فى باكستان يسمون منظومته بمطلعها وهو قوله : مئات ألوف التسليمات
على المصطفى روح الرحمة .

ولا ضير فى هذا المقام أن نحتكم إلى تذوقنا فنقول إننا أميل إلى صنيع أحمد رضا ، لأنه
أدخل فى روحانية منظومته وأخلق بإعظام وإجلال الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإن
كان النسيب لا يضر البردة شيئا ، ولكن لكل تذوقه على نحو خاص به .
كما أن فى البردة القول فى الحكمة والترغيب فى التقوى ، والدعوة إلى أخذ الحذر من
اتباع الهوى والسير فى خطا الشيطان .

ثم يمدح النبى صلى الله عليه وسلم إلا أنه لم يشير إلى شمائله ، أما أحمد فجمهرة
أبيات قصيدته فى الشمائل النبوية .

كما أن البوصيرى يتحدث فى مولد الرسول ويروى ما يرويه التاريخ من أن إيوان
كسرى تصدع ، وأن نار الفرس خمدت ، وأن بحيرة ساوة غاضت ، ولكن أحمد رضا لم
يشر إلى هذا .

ومما يقوم به الدليل على منزلة بردة البوصيرى فى نفوس أهل شبه القارة ما ذكره الأستاذ
ظهور أحمد أظهر الذى يقول : «إن ميمية الإمام البوصيرى التى عرفت واشتهرت بقصيدة
البردة شغلت أذهان الجهابذة الأعلام وأقلامهم عبر العصور . وتركت تأثيرا بالغا فى نفوس
الأجيال القادمة من شعراء اللغة العربية فى كل مكان . ذلك راجع إلى ما أشارت إليه
قصيدة البوصيرى من دقة اللفظ ورقة المعنى والحب الصادق ، وأنها تثير عواطف المؤمنين
والمحبين . . فمن أهل العلم من شرح القصيدة وتفسيرها فى شتى اللغات ، ومنهم من
ترجمها إلى لغات الشعوب الإسلامية شعرا ونثرا ، ومنهم من نظموا القصائد على
غرارها . وهذا الاهتمام البالغ بهذه القصيدة الرائعة التى مدح بها البوصيرى النبى صلى
الله عليه وسلم ، لا يزال يزداد ويمتد ، وسيظل كذلك إلى آخر الدهر . وقد اشتغل علماء

اللغة العربية فى شبه القارة بدراسة البردة وشرحها، وترجمتها إلى اللغات المحلية . كما أن شروحا كثيرة متنوعة، وهى فى العربية، والفارسية، والبنجابية، والبشتو، والسندية، والبنغالية، وغيرها (٣٧) .

وهذا ما يذكر بأن المنظومة السلامية كان لها من الشهرة والسيرورة فى شبه القارة ما يشبه ما للبردة .

ويترتب على ذلك فى الفهم، أن المدحتين تتكاملان، وتتشابهان فى أكثر من وجه للشبه .

ومن تنمة القول فى عناصر المدحتين أن الأبيات الأواخر من البردة ظهر فيها التصوف، وليس كذلك فى المنظومة السلامية .

وفى الأبيات الأواخر من البردة يتكرر ذكر محمد صلى الله عليه وسلم والتوسل به، ولكن أحمد رضا لا يكرر الاسم الشريف، وإنما يكرر السلام، كما أن أحمد رضا يذكر بعض الصحابة أقطاب الصوفية، وليس كذلك فى بردة البوصيرى .

والكلمة الخاتمة فى شأن المنظومة السلامية أنها مع بردة الإمام البوصيرى تشكل كيانا قائما مرموقا لمدح سيد المرسلين، عليه أفضل الصلاة وأذكى السلام . ولله نحمد أن يسر لنا أن نجمع بينهما فى دراسة واحدة مستوعبة . ونخال أننا بذنا عقدنا صلة روحية موصولة بين المسلمين تقوم أساسا على الدين القويم ومدح نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم .

(٣٧) جمال بن نصير الجنابى، شرح قصيد البردة للبوصيرى، ص ١ (لاهور، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م) .

المنظومة السلافية

- ١ - سلام على صفوة الأنبياء
(عليه الصلاة عليه السلام)
نبي الهدى رحمة للسماء^(١)
- ٢ - سلام ينير على بدره
(عليه الصلاة عليه السلام)
وينفج عطرا على زهره^(٢)
- ٣ - ملك إرم وهذا الحرم
(عليه الصلاة عليه السلام)
شفاعته تلك من ذا حرم^(٣)
- ٤ - سلام على من سرى في الظلام
(عليه الصلاة عليه السلام)
له في الجنان رفيع المقام^(٤)
- ٥ - صلاة على من له العرش زان
ومن طيب الأرض كالمسك كان
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ٦ - صلاة على نور عين الكمال
سلام على الطهر بل والجمال
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ٧ - سلام على السرو في حكمته
ومن جاهد الكفر في منته^(٥)
(عليه الصلاة عليه السلام)

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ .
(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين﴾ .
(٣) إشارة إلى ما يروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه سجد سجدة فأعطاه ثلث أمته ثم سجد الثانية فأعطاه ثلثها الآخر ثم سجد فأعطاه أمته كلها ، وأنه لن يحرم موحد شفاعته صلى الله عليه وسلم .
(٤) سرى : سار ليلا ، والمراد هنا الإسراء .
إشارة إلى قوله تعالى: ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾ .

٨ - صلاة على السرف في وحدته
ومن كان كالقطب في كثرته (٦)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٩ - له انشق بدر وردت ذكاء
ومن قدرة الله منه رماء (٧)

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٠ - يلوذ به الناس يوم الجزاء
فطوبى له إن هذا سناء (٨)

(عليه الصلاة عليه السلام)

١١ - من العرش والفرش ما قد ملك
كذا الإنس والجن من غير شك

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٢ - هو الأصل حقا لكل البشر
وكنزا عليهم جميعا نثر (٩)

(عليه الصلاة عليه السلام)

(٥) يشبه شجرة السرو مستقيمة . ويشبه استقامته وصحة حكمته باستقامتها .

المنة : القوة ، أى أنه صلى الله عليه وسلم جاهد الكفار بقوته الجسمانية والروحانية . وقد أوتى صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم .

(٦) وكان صلى الله عليه وسلم على أتم ما يكون من عبادته ، وكان ذلك سرا وعلانية ، وهو الذى يستمد من فعله كل العارفين بالله .

(٧) يقول إن القمر انشق له صلى الله عليه وسلم ، كما أن العمامة ردت عنه حر الشمس .

ذكاء : بمعنى الشمس .

كما يشير إلى إن الملائكة حاربت مع المسلمين فى بدر ، فكان الملائكة هى التى رمت بقدرة الله . فهو يشير إلى قوله تعالى : ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ .

(٨) يقول إن آدم والأنبياء - عليهم السلام - تحت لوائه يوم القيامة .

طوبى له : كل الخير له .

السناء : الرفعة .

(٩) يشير إلى حديث جاء فيه : «كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» .

وقد بعث صلى الله عليه وسلم رسولا للعالمين فأمنت به الإنس والجن ، ودليل ذلك قوله تعالى : =

١٣- وباب النبوة من قد فتح
ومن بعده بابها ما فتح

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٤ - صلاة ونور على نوره
ويبدو التقرب في زهره

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٥ - عديم النظير عديم القرين
وجوهر فرد كما يستين^(١٠)

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٦ - صلاة على سرغيب الهدى
سلام على من انتهى أو بدى

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٧ - ولاهوته قمر المنتدى
وكان لناسوته سيدا^(١١)

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٨ - صلاة على كنز كل فقير
وكل به دائما يستجير

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٩ - ومن أظهر اسما لهذا الأحد
سلام عليه بغير عدد^(١٢)

(عليه الصلاة عليه السلام)

= ﴿وإذا صرنا إليك نفرا من الجن﴾ ، حتى قوله تعالى : ﴿يا قومنا أجيئوا داعي الله وآمنوا به﴾ .

(١٠) إشارة إلى معنى قوله صلى الله عليه وسلم : «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» .

(١١) هبولى : عند أهل الله اسم الشيء تظهر فيه الصور وكل باطن تظهر فيه صورة .

ناسوت : الجنس البشرى .

(١٢) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا

تسليما﴾ .

٢٠- لكل سعادتنا مطلع
لكل سيادتنا منبع

(عليه الصلاة عليه السلام)

٢١- ألا إنه من يغيث البشر
ويوم الجزاء بعدل أمر

(عليه الصلاة عليه السلام)

٢٢- ألا إنه للفقير الشراء
شديد القوى كان للضعفاء

(عليه الصلاة عليه السلام)

٢٣- ولي مجلس إنه في «دنى»
أنا في «الهوية» دعنى أنا (١٣)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٢٤- وما كان فرق وجمع معا
وفي وحدة كثرة جمعا

(عليه الصلاة عليه السلام)

٢٥- على كثرة قبلها قلة
وعز أتت قبله ذلة

(عليه الصلاة عليه السلام)

٢٦- من الرب حامل طيب الكلام
على منة الله ألف السلام (١٤)

(عليه الصلاة عليه السلام)

(١٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ثم دنا فتدلى﴾ فكان قاب قوسين أو أدنى.

الهوية: بمعنى الذات المطلق.

(١٤) يشير إلى قوله تعالى: ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم﴾.
المنة: النعمة.

- ٢٧- صلاة عليه من البائسين
سلام على نشب المعسرین^(١٥)
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ٢٨- وللمؤمن الموقن القلب سر
وحقد عليه لمن قد كفر
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ٢٩- ألا إنه كان كل سبب
ومنى السلام عليه وجب^(١٦)
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ٣٠- ألا إنه مظهر للظهور
كما أنه مظهر للصدور^(١٧)
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ٣١- تفتح زهر لدى رؤيته
هو الورد طهرا وفي نبتته^(١٨)
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ٣٢- وظل له مرة ما ظهر
لرحمته الظل ملء البصر^(١٩)
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ٣٣- يحوم عليه حمام الغمام
يحيى ويمضى عليه السلام
(عليه الصلاة عليه السلام)

(١٥) نشب: المال والغنى .

(١٦) إشارة إلى حديث يقول : «لولاك لما خلقت الأفلاك» أى أنه سبب الوجود .

(١٧) يقول الصوفية إن الإنسان مظهر لصفات الله تعالى .

(١٨) يشير إلى قوله تعالى : «وتقلبك فى الساجدين» .

(١٩) أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن له ظل .

٣٤- على وجهه لاح حسن الإله
بهذا تميز منه بهاه

(عليه الصلاة عليه السلام)

٣٥- لكل الملوك انحناء لهام
لرأس النبي عليه السلام (٢٠)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٣٦- ومن شعره غيمة للكرم
ومن شعره المسك دوما فغم (٢١)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٣٧- وليلة قدر بدا فجرها
ومن مفرق ساطع نورها (٢٢)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٣٨- وكم من قلوب كواها الأسي
أساها ألا نعم من قد أسي (٢٣)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٣٩- قريب بعيد به المخبر
فيا حبذا ذلك الجوهر

(عليه الصلاة عليه السلام)

٤٠- سلام على الرائف الراحم
سلام على أصله الهاشمي (٢٤)

(عليه الصلاة عليه السلام)

(٢٠) الهام : جمع هامة ، والهامة : الرأس .

(٢١) فغم العطر : ملئ الأنف .

(٢٢) يشبه شعره صلى الله عليه وسلم بليلة القدر ويقول إن مفرقه هو فخرها .

(٢٣) أسي : عزي .

(٢٤) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين

رءوف رحيم﴾ .

٤١- وتاج الشفاعة زين الجبين
سلام على سيد الشافعين

(عليه الصلاة عليه السلام)

٤٢- لحاجبه قبله تنحنى
فمحرابها دائما ينثنى (٢٥)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٤٣- ظلال لجفن على عينه
لرحمته تلك أو منه (٢٦)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٤٤- صلاة على عينه الباكية
بدمع الشفيع هي الجارية (٢٧)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٤٥- وفيما رأى كل صدق نطق
وحول عظيم لديه انبثق (٢٨)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٤٦- وفى كل أرض بعين نظر
فلطف الإله عليها انهمر

(عليه الصلاة عليه السلام)

٤٧- حياء به غص طرفا حياء
وفى الأنف معنى لكل الإباء

(عليه الصلاة والسلام)

(٢٥) المراد بالقبلة هنا محرابها الذى يدل عليها .

(٢٦) المن : الإنعام .

(٢٧) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ .

(٢٨) المراد ما رأى فى الإسرائاء .

الحول : القوة والقدرة . يشير إلى قوله تعالى : ﴿ ما ضل صاحبكم وما غوى ﴾ . .

- ٤٨ - وكم حجة هي بهر القمر
لها النور في الخافقين انتشر (٢٩)
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ٤٩ - وخذ أسيل عليه السلام
سلام على روعة للقوام (٣٠)
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ٥٠ - ببشرته كم أنارت قلوب
ومنا السلام عليها وجوب
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ٥١ - من الوجه أين جمال القمر
سلام عليه لكل البشر
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ٥٢ - ندى روضة الحق هذا النضيج
سلام على حسن هذا المليح (٣١)
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ٥٣ - سلام على الخط حول الجبين
لخضرة عشب لماء معين (٣٢)
(عليه الصلاة عليه السلام)

(٢٩) بهر القمر: أضواء حتى غلب ضوءه ضوء الكواكب.
الخافقين: الشرق والغرب.
(٣٠) خد أسيل: لين طويل.
(٣١) النضيج: العرق.
(٣٢) الخط: في الشعر الصوفي تعينات عالم الأرواح. والخط الأخضر: هو البرزخ، وفي غير المصطلح
الصوفي بمعنى ما على العارض من شعر خفيف وهو من صفات الجمال.
والجبين: فوق الصدغ: وللوجه جبينان، ولكن المراد هنا العارضان وهما جانباً الوجه.
الماء المعين: الماء الجاري.

٥٤ - ألا يالها لحية ترسم
لجرح القلوب هي البلسم (٣٣)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٥٥ - وفي شفة ذاك ورد رقيق
هو الطهر بالطهر هذا يليق

(عليه الصلاة عليه السلام)

٥٦ - بوحى الإله فم ناطق
بقول نبي الهدى لائق (٣٤)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٥٧ - وروح به إنها تسعد
صلاة على حسنه محمد

(عليه الصلاة عليه السلام)

٥٨ - أجاج من الماء يحوى قلب
سلام على الماء حلوا يطيب (٣٥)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٥٩ - لسان له كان مفتاح «كن»
وغير الذى قاله لم يكن

(عليه الصلاة عليه السلام)

٦٠ - سلام عليه فصيح فصيح
وما قال قول مليح مليح

(عليه الصلاة عليه السلام)

(٣٣) المراد باللحية التى ترسم : اللحية الجميلة التى تجدر برسمها .

البلسم : دواء تضمّد به الجراحات .

(٣٤) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ لا ينطق عن الهوى ﴾ * إن هو إلا وحي يوحى * علمه شديد القوى ﴿ .

(٣٥) يروى أنه صلى الله عليه وسلم ثفل فى بئر انقطع ماؤها ففار ماؤها عذبا .

الأجاج : الماء الذى تغير طعمه .

القليب : البئر .

٦١- حديث يقول عليه السلام
على خطبة قالها للأنام^(٣٦)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٦٢- ويدعو دعاء وشيك القبول^(٣٧)
سلام سلام على ما يقول

(عليه الصلاة عليه السلام)

٦٣- سلام على الثغر فيه الدرر
لها النور نور إذا ما غمر

(عليه الصلاة عليه السلام)

٦٤- وما من بكاء إذا ما ابتسم
لمن قلبه رازح تحت غم^(٣٨)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٦٥- حلاوة شهد له في لهاه
فيا عجباً ذاك صنع الإله^(٣٩)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٦٦- على كتف سمة للشرف
سلام عليها وكل عرف^(٤٠)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٦٧- له خاتم إنه قد ظهر
لكعبة روح كذاك الحجر^(٤١)

(عليه الصلاة عليه السلام)

(٣٦) الأنام: الناس.

(٣٧) وشيك: قريب.

(٣٨) رازح تحت غم: أثقله الحزن.

(٣٩) اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم. والمراد هنا الحلق.

(٤٠) السمة: العلامة.

(٤١) الإشارة إلى خاتم النبوة بين كتفيه صلى الله عليه وسلم ويشبه بالحجر الأسود في كعبة الروح.

٦٨ - بلا رؤية كل شيء درى
سلام على منقذ للورى (٤٢)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٦٩ - جواد جواد جزيل العطاء
سلام على أكرم الكرماء (٤٣)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٧٠ - بدارين ينصب للأمة
ويذكرها قائلًا أمتي (٤٤)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٧١ - عماد لدين له ساعدان
بيت لربهما قائمان

(عليه الصلاة عليه السلام)

٧٢ - خطوط بكف تموج بنور
كبحر خضم بنور يمور (٤٥)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٧٣ - أصابع منها عيون جرت
سلام عليها إذا ما روت (٤٦)

(عليه الصلاة عليه السلام)

(٤٢) درى: عرف. وعند الصوفية أن العلم اللدنى هو ما يتلقاه العبد إلهاما من دون اجتلاب ولا اكتساب. ولكن يقذفه الله نورا في قلبه.

الورى: الناس.

(٤٣) كان صلى الله عليه وسلم أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، فكان أجود بالخير من الريح المرسلة.

(٤٤) الدارين: الدنيا والآخرة وقد كان صلى الله عليه وسلم في الدنيا دائم الاستغفار لأمته، وهو في الآخرة يشفع لها عند الله عز وجل.

ينصب: يتعب.

(٤٥) يمور: يتلاطم موجه.

(٤٦) يشير إلى تفجر الماء من بين أصابعه الشريفة.

٧٤- أنامل فيها هلال لعيد
برؤيته كل قلب سعيد (٤٧)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٧٥- ورب له ذكره قد رفع
وجانب صدر له قد قطع (٤٨)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٧٦- هو القلب لا العقل ما يرشد
وسر الإله بنا يوجد (٤٩)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٧٧- قنوع فما رغبة في نشب
وتلك القناعة شيء عجب (٥٠)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٧٨- وأنقض ظهرا بما قد حمل
فعبء الشفاعة لا يحتمل

(عليه الصلاة عليه السلام)

٧٩- وكل نبي جثى عنده
وفى نهجه سائر بعده (٥١)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٨٠- وساق بدت مثل أصل الكرم
تنير الصراط كشمع الضرم (٥٢)

(عليه الصلاة عليه السلام)

(٤٧) يريد بهلال الأنامل : أظافره صلى الله عليه وسلم .

(٤٨) يشير إلى شق صدره صلى الله عليه وسلم . كما أنه عليه الصلاة والسلام قد خاطبه ربه قائلا في سورة الشرح : ﴿ ألم نشرح لك صدرك * ووضعنا عنك وزرك * الذى أنقض ظهرك * ورفعنا لك ذكرك ﴾ .

(٤٩) أى أنه يوجد سر الإله فى قلوبنا .

(٥٠) النشوب : المال والثراء .

(٥١) جثا : قعد على ركبته . النهج : الطريق .

- ٨١- بما داسه فى الكتاب القسم
سلام على كعب تلك القدم (٥٣)
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ٨٢- بليلة سعد أنار الظلام
سلام عليها وألف سلام (٥٤)
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ٨٣- وسجدته تلك منذ الأزل
على ذكر أمته لم يزل (٥٥)
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ٨٤- سلام على الضرع وهو الحلوب
رضاع عليه السلام وجوب (٥٦)
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ٨٥- وعند الرضاع لمن يرضعون
تنحى لمن مثله ينعمون (٥٧)
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ٨٦- ويا سعد حطن يضم الرسول
سلام على النجم يأبى الأفول (٥٨)
(عليه الصلاة والسلام)

(٥٢) الصراط هنا هو الصراط المستقيم، وساقه صلى الله عليه وسلم تنيره شمعا مضيئة . الضرم : النار .
(٥٣) المراد بما داسه : ما وطئه قدمه من تراب . والإشارة إلى ما جاء بالقسم بالبلد التى داس صلى الله عليه وسلم ترابها وذلك فى سورة البلد .
(٥٤) يريد الليلة التى ولد فيه صلى الله عليه وسلم .
(٥٥) الإشارة إلى أنه صلى الله عليه وسلم سجد عقب ولادته .
(٥٦) يشير إلى أنه صلى الله عليه وسلم حين مضى إلى دار حليلة السعدية أضرت ضروع النياق اللبن بعد أن انقطعت عن الإدرار .
والرضاع : الإشارة إلى السيدة حليلة التى أرضعته .
(٥٧) قيل إنه صلى الله عليه وسلم وهو يرضع كان يترك الثدي ليرضع غيره .
(٥٨) أفل النجم : غاب .

٨٧- براءته شاءها الخالق
على صورة رامها الوامق^(٥٩)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٨٨- ربيع ويورق فيه الشجر
ألا حبذا نفحة للزهر^(٦٠)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٨٩- وفضل له من لدن أن ولد
وفي ملعب قط ما إن وجد^(٦١)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٩٠- وما مال للهوفيه اللغظ
وفي كل شئ لديه الوسط^(٦٢)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٩١- تدلل دوما بغير صرف
ويحسن منه إباء السرف^(٦٣)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٩٢- سلام على نفحة للشذا
وتلك النفاسة يا حبذا^(٦٤)

(عليه الصلاة عليه السلام)

٩٣- سلام على خير قول يقول
سلام على هدى هذا الرسول

(عليه الصلاة عليه السلام)

(٥٩) الوامق : المحب وهو الله تعالى .

(٦٠) ولد صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع ، وفيه يورق الشجر ويفوح عطر الزهر .

(٦١) لدن : منذ .

(٦٢) اللغظ : الضوضاء .

(٦٣) الصرف : الكبير .

السرف : المبالغة .

(٦٤) الشذا : حدة ذكاء الرائحة .

- ٩٤- سلام على الحسن في سيرته
(عليه الصلاة عليه السلام) سلام على القصد في حاجته (٦٥)
- ٩٥- وحرار وقارب مشيته
(عليه الصلاة عليه السلام) وفي جبل حبذا خلوته (٦٦)
- ٩٦- وللناس طرا لقد أرسلنا
(عليه الصلاة عليه السلام) سلام عليه لكل الملا (٦٧)
- ٩٧- لكل المرايا بدت دعوته
(عليه الصلاة عليه السلام) تجلت بالألأها صورته
- ٩٨- سلام على ليلة قامها
(عليه الصلاة عليه السلام) سلام على راحة رامها (٦٨)
- ٩٩- سلام على بسمه في السحر
ودمع بليل جرى وانهمر (٦٩)
(عليه الصلاة عليه السلام)

(٦٥) القصد: الاعتدال .

(٦٦) يوم قار: يوم شديد البرد .

جبل: المراد به جبل حراء .

(٦٧) يشير إلى أنه بعث للناس كافة .

الملا: الجماعة وهو الخلق .

(٦٨) رامها: أرادها .

(٦٩) كان صلى الله عليه وسلم يتسم في الصباح ليطيب النفوس ، أما في الليل فكان يبكي خشوعا لله واستغفارا لأمتة .

- ١٠٠ - سلام سلام على رفته
سلام سلام على هيبتته
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ١٠١ - لسادات قوم شموخ بهام
وإحناؤها ذا خير الأنام (٧٠)
- (عليه الصلاة عليه السلام)
- ١٠٢ - ومن قائل ما رآه الكليم؟
أيذكر ما قدره العظيم (٧١)
- (عليه الصلاة عليه السلام)
- ١٠٣ - هلال له فى نجوم سطع
وتلك الدياجر كم قدره (٧٢)
- (عليه الصلاة عليه السلام)
- ١٠٤ - وأرض تميد بمن كبروا
بنصرة رب لهم بشروا (٧٣)
- (عليه الصلاة عليه السلام)
- ١٠٥ - تعالى هتاف أتى من بعيد
سلام على ذا البئس النجيد (٧٤)
- (عليه الصلاة عليه السلام)

(٧٠) الهام: جمع هامة، وهى الرأس.

شموخ برأيه: تكبر.

الأنام: الناس.

(٧١) الكليم: هو موسى عليه السلام، والإشارة إلى وقوفه على جبل الطور.

والعظيم: هو محمد صلى الله عليه وسلم، والإشارة إلى رؤيته لله تعالى فى المعراج.

(٧٢) الدياجر: الظلمات.

(٧٣) تميد: تتحرك.

(٧٤) البئس: الشجاع.

النجيد: الأسد. وللمراد تشبيه الرسول صلى الله عليه وسلم بالأسد فى الشجاعة.

- ١٠٦ - صليل وقولا له شنفًا
سلام عليك أيا مصطفى^(٧٥)
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ١٠٧ - وحمزة في الحرب ليث هصور
له في البوادي مخيف الزئير^(٧٦)
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ١٠٨ - سلام على كل تلك السمات
سلام على كل تلك الصفات^(٧٧)
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ١٠٩ - وأنسابه بل وأسمائه
سلام عليه بعليائه^(٧٨)
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ١١٠ - عليه من الرب كم من سلام
وعترته بل وصحب كرام
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ١١١ - وبیت النبی وآل العبا
ألا إنهم ذروة في السنا^(٧٩)
(عليه الصلاة عليه السلام)

(٧٥) صليل السيف : صوت وقوعه على آخر .
شنتف قوله : حسنه .
(٧٦) الليث الهصور : الذي يهصر فريسته بقوته .
(٧٧) السمات : العلامات المميزة .
(٧٨) العلياء : علو القدر .
(٧٩) آل العبا : هم آل البيت رضوان الله عليهم .
السنا : الرفعة .

١١٢ - فهم دوحة بالظهور ارتوت
وكل الفضائل قد أثمرت (٨٠)

(عليه الصلاة عليه السلام)

١١٣ - دم للرسول بأعراقهم
وفاء «شعار» لأخلاقهم

(عليه الصلاة عليه السلام)

١١٤ - وفاطمة تلك بنت الرسول
سلام عليها فهذى البتول (٨١)

(عليه الصلاة عليه السلام)

١١٥ - خمارا لها ما رأت شمسنا
ومثل لها ما رأت عيننا

(عليه الصلاة عليه السلام)

١١٦ - فريحانة إنها للرسول
سلام عليها يطول يطول

(عليه الصلاة عليه السلام)

١١٧ - وهذا السخى السخى الحسن
بكل الحنان الرسول احتضن (٨٢)

(عليه الصلاة عليه السلام)

١١٨ - هو البدر لاح بأوج الهدى
كما أنه البحر بحر الندى (٨٣)

(عليه الصلاة عليه السلام)

(٨٠) الدوحة : الشجرة العظيمة .

الظهور : الماء الطاهر .

(٨١) البتول : المنقطعة إلى الله تعالى عن الدنيا .

(٨٢) المراد به الإمام الحسن ابن الإمام على رضوان الله عليهما ، وكان كريما كما كان جده صلى الله عليه وسلم يحتضنه ويحمله على كتفه .

(٨٣) الندى : الكرم .

- ١١٩ - تذوق شهدا بشهد الرضاب
فعصمته تلك شئ عجاب^(٨٤)
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ١٢٠ - وهذا الحسين شهيد البلاء
غريب له الورد لون القباء^(٨٥)
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ١٢١ - على درة حقها في النجف
سلام عليها بأوج الشرف^(٨٦)
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ١٢٢ - وياحبذا رحمة الأمهات
وياحبذا طاهرات البنات^(٨٧)
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ١٢٣ - سلام على علم بيت الرسول
هو العلم فيه تنار العقول
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ١٢٤ - وكانت خديجة كهف الأمان
ويا طالما غمرت بالحنان
(عليه الصلاة عليه السلام)

(٨٤) الرضاب: الريق .
كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقبل فاه .
(٨٥) يقول إن الحسين رضى الله عنه وأرضاه استشهد في أرض غريبة ، وكأنما لبس من الدم لون الورد الأحمر قباء .
(٨٦) يقول في مدح الإمام على كرم الله وجهه ، وروضته في النجف الأشرف بالعراق ، مشبها إياه بدرة في حق للجوهر .
(٨٧) يقصد بالأمهات : أمهات المؤمنين .
والبنات : بنات الرسول صلى الله عليه وسلم .

١٢٥ - من العرش جاء إليها السلام
وفى موضع طاب فيه المقام^(٨٨)

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٢٦ - لها القصر فى جنة من قصب
وفيه السكون فما من صخب^(٨٩)

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٢٧ - وراحة قلب النبى عائشة
على قلبه راحة ناقشه

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٢٨ - وفى سورة النور عنها كلام
لها الوجه نور عليها السلام

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٢٩ - وجبريل بالإذن لما دخل
لها شأنها أنه قد أجل

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٣٠ - بها النور كان بفضل اجتهاد
فكل فقيه عظيم أفاد^(٩٠)

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٣١ - على من بيدر أذيقوا الحمام
ومن آمنوا بالنبى السلام^(٩١)

(عليه الصلاة عليه السلام)

(٨٨) إشارة لما يروى أن جبريل - عليه السلام - جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يتعبد فى الغار ، وقال له : « إن خديجة فى الطريق إليك . . فإذا أتتك فأقرئها السلام من ربها وبشرها ببيت فى الجنة » .

(٨٩) الصخب : بالسكون شدة ارتفاع الصوت .

(٩٠) اشتهرت السيدة عائشة رضى الله عنها باجتهادها الصائب وأفاد منها فقهاء المذاهب الأربعة .
أفاد : استفاد .

(٩١) فى الأصل الأردى على شهداء بدر وأحد .

١٣٢- ومن بشروا عشرة بالجنان
هنيئا لهم فوزهم بالأمان

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٣٣- إلى الدين قبل الصحاب سبق
وفى كل قول يقول صدق (٩٢)

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٣٤- أظل بظل له المصطفى
وعز الخلافة كل الوفى

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٣٥- وخير البرية بعد الرسول
وتلك المعية يوم الرحيل (٩٣)

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٣٦- سلام على سيد المتقين
على عمر أصدق الصادقين

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٣٧- وكل عدوله فى سقر
سلام عليه وزيرا وزر (٩٤)

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٣٨- وفى كل أمر هو الفيصل
سلام على قوة المنصل (٩٥)

(عليه الصلاة عليه السلام)

الحمام: الموت .

(٩٢) أبى بكر الصديق رضوان الله عليه .

(٩٣) يريد أنه كان مع الرسول صلى الله عليه وسلم فى الهجرة .

(٩٤) سقر: جهنم .

كان لأبى بكر وزيرا يستشير .

(٩٥) الفيصل: الحاكم والقاضى .

المنصل: السيف .

١٣٩- له رأى يشبه رأى النبى
هو العدل فالحق لا يختبى

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٤٠- سلام على زاهد فى النعم
فعثمان هذا مثال الكرم (٩٦)

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٤١- له فضل جمع الكتاب المين له
رفعة الذكر فى العالمين (٩٧)

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٤٢- قميص عليه هو المهتدى
ولابس ثوب لمستشهدى (٩٨)

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٤٣- سلام على أشجع البؤساء
ومن فى جنان يطوف بماء (٩٩)

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٤٤- أنا المستغيث به فى الدعاء
فنعم الوسيلة نحو السماء

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٤٥- حيال الروافض كم قد وقف
خوارج عنهم يصد الجنف (١٠٠)

(عليه الصلاة عليه السلام)

(٩٦) كان عثمان- رضوان الله عليه- رغم زهده- واسع الثراء فأنفق على تجهيز جيش العسرة.

(٩٧) العالمين: الناس.

(٩٨) أخذ القميص الذى كان يلبسه حين استشهد، فحمله معاوية ونادى بالثار لعثمان رضى الله عنه.

(٩٩) البؤساء: جمع بئيس وهو الشجاع. والمقصود به سيدنا الإمام على كرم الله وجهه.

(١٠٠) حيال: أمام.

الجنف: الظلم

- ١٤٦ - تفتح بابا له خيبر
لقدره رب هو المظهر
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ١٤٧ - ومن فضله على الخلفاء
تصدي لهم كارها بالإباء
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ١٤٨ - ومن قبل أو بعد نيل المرام
على المؤمنين جميعا سلام^(١٠١)
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ١٤٩ - ومن كان يوما إليه نظر
سلام على نور هذا البصر
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ١٥٠ - عدو عليهم أطال اللعان
ورب حماهم بحصن الأمان^(١٠٢)
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ١٥١ - بقيه ساقى الشراب الطهور
وزين وتفديه منا الصدور^(١٠٣)
(عليه الصلاة عليه السلام)
- ١٥٢ - سلام على ولد هذا الهمام
فهم فى الذرى من رفيع المقام^(١٠٤)
(عليه الصلاة عليه السلام)

(١٠١) يريد قبل فتح خيبر وبعد نيل المرام بفتحها.
(١٠٢) إنهم أهل البيت الذى يحميهم ربهم من ظالمهم.
اللعان: جمع لعن.
(١٠٣) يريد به الإمام زين العابدين على حفيد الإمام على كرم الله وجهه، وهو زين أهل البيت.
(١٠٤) الولد: جمع ولد.
الهمام: السيد العظيم الهمة.
ذرى: جمع ذروة وهى القمة.

١٥٣ - سلام عليهم سما شأنهم
وكل السيادة دوما لهم

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٥٤ - وأربعة كرموا في الورى
وحكما لهم كلنا كم روى (١٠٥)

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٥٥ - هداة لخلق شيوخ الطرق
جميل وفضل لهم في العنق

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٥٦ - إمام التقى ذلك الأعظم
هو الغوث للناس والأعلم (١٠٦)

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٥٧ - هو الفضل والدين بل والرشاد
وبصير بالعلم كل العباد

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٥٨ - على شيخ جيلان منا السلام
بشعر التصوف أحيا الكلام

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٥٩ - وأحنى رقابا لحشد جمع
ومنها له منبرا قد صنع

(عليه الصلاة عليه السلام)

(١٠٥) المراد بهم الأئمة مالك وأبو حنيفة والشافعي وابن حنبل .

الورى : الناس .

(١٠٦) السيد عبد القادر الجيلاني .

- ١٦٠- أمين على بركات السلف
وقطب الطريق وأوج الشرف (١٠٧)
- (عليه الصلاة عليه السلام)
- ١٦١- لآل النبي كان نعم السليل
وليل الرياضة ليل طويل (١٠٨)
- (عليه الصلاة عليه السلام)
- ١٦٢- وحمزة شيخ بعقل ودين
وللقادريّة زين يزين (١٠٩)
- (عليه الصلاة عليه السلام)
- ١٦٣- مقال وحال وروح البدن
وذكر لاسم لهذا الحسن (١١٠)
- (عليه الصلاة عليه السلام)

(١٠٧) الأوج: القمة.

(١٠٨) الرياضة: أدب وهو الخروج عن طبع النفس، والرياضة طلب وهو صحة المراد له بالجملة هي عبارة عن تهذيب الأخلاق النفسية، فإن تهذيبها تمحيصها عن خلطات الطبع ونزعاته، وقيل الرياضة ملازمة الصلاة والصوم والمحافظة على موجبات الإثم أثناء الليل وأطراف النهار وسد باب النوم والبعد عن صحبة القوم.

عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، ص ١١٦، بيروت ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م.
السليل: الابن.

(١٠٩) حمزة: اسم شيخ من شيوخ القادرية.

(١١٠) الحال: هو ما يرد على القلب من طرب أو حزن أو بسط أو قبض، وتسمى الحال بالوارد أيضا، ولذا قالوا: لا ورد لمن لا وارد له.

وقيل الأحوال هي المواهب الفائضة على العبد من ربه، إما وارده عليه ميراثا للعمل الصالح المركز للنفس المصفى للقلب. وإما نازلة من الحق تعالى امتنانا محضا، وإنما سميت الأحوال أحوالا لحول العبد بها من الرسوم الخلقية ودركات البعد إلى الصفات الحقية ودرجات القرب.

وذلك هو معنى الترقى. وقيل معنى الأحوال هو ما يحل بالقلوب، أو تحل به القلوب من صفاء الأذكار. وقيل الحال هو الذكر الحفي. وقال الجند: الحال نازلة تنزل بالقلوب فلا تدوم عبد المنعم الحفني، معجم مصطلحات الصوفية، ص ٧٣.

الحسن: أحد أقطاب التصوف في شبه القارة واسمه اجهي ميان.

١٦٤ - وآل الرسول ولى النعم
ونور لروح بخوف الظلم (١١١)

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٦٥ - حفيد له واسمه أحمد
له الاسم من نوره يحمد (١١٢)

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٦٦ - فياربى لا كان قط العذاب
لأهل الجماعة يوم الحساب (١١٣)

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٦٧ - إليك التوسل يا ربنا
بمن قد ذكرنا فذا حسبنا

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٦٨ - سلام على كل من ذى نسب
ومن علمونى ، وأم وأب

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٦٩ - ولى رحمة لست بالمؤثر
بل الناس طرا ومن مخبر (١١٤)

(عليه الصلاة عليه السلام)

١٧٠ - ويوم الجزاء يجىء الرسول
فياليت كلا سلاما يقول

(عليه الصلاة عليه السلام)

(١١١) يشير إلى شيخه ومرشده المسمى آل الرسول الماهروى .

الظلم : الظلمات . .

(١١٢) يشير إلى حفيد وخليفة مرشده ، المسمى بالإمام السيد أحمد النورى .

(١١٣) يريد أهل السنة والجماعة .

(١١٤) الناس طرا : بمعنى الناس جميعا ، والمراد أمة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

ومن مخبر : يريد منه الدعاء له بالرحمة .

١٧١- ومنى الرضا ليتهم يطلبون
«سلاميتي» تلك مَنْ يسمعون (١١٥)

(عليه الصلاة عليه السلام)

(١١٥) الرضا: لقبه الشعري .

سلاميتي: السلامية عنوان هذه المنظومة .

إلى مولانا أحمد رضا خان

من شعر: دكتور حسين مجيب المصرى

- ١- منحت رضا الله يا شيخنا
فديننا لنا أنت علمتنا
- ٢- هديت سبيلا ومن حيرة
وأسكنت إيماننا قلبنا
- ٣- وفى لمحة منك أو خطرة
أنرت بنورك عقلا لنا
- ٤- إلى جنة الخلد فى خطوة
دليل خبير هدى سيرنا
- ٥- ستبقى فتاويك زخر الورى
يقينا ماحونا به ربنا
- ٦- بحب النبى بلغت الذرى
تبوأت بوأت يا سعدنا
- ٧- فيمضى زمان ولسنا نرى
نظيرك أو مشبهها عندنا

المنظومة السلامية

فى الأصل الأردى

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

سلاّم

مصطفیٰ جانِ رحمت پہ لاکھوں سلام	شمعِ بزمِ ہدایت پہ لاکھوں سلام
مہرِ چرخِ نبوت پہ روشن درود	گلِ باغِ رسالت پہ لاکھوں سلام
شہرِ یارِ ارمِ تاجدارِ حرم	نو بہارِ شفاعت پہ لاکھوں سلام
شبِ اسری کے دولہا پہ دائم درود	نوشہٴ بزمِ جنت پہ لاکھوں سلام
عرش کی زیب و زینت پہ عرشی درود	فرش کی طیبِ منزلت پہ لاکھوں سلام
نورِ عینِ لطافت پہ الطفِ درود	زیب و زینِ نفاقت پہ لاکھوں سلام
سُورِ نازِ قدمِ مغیرِ رازِ حکم	یکہٴ نازِ فضیلت پہ لاکھوں سلام
نقطہٴ سترِ وحدت پہ یکتا درود	مرکزِ درودِ کثرت پہ لاکھوں سلام
صاحبِ رجعتِ شمس و شفقِ القمر	نائبِ دستِ قدرت پہ لاکھوں سلام

- ۱ : آسمانِ نبوت کے چمکنے سورج
۲ : جنت کے شہزادے - ۳ : شبِ معراج
۴ : فرش کی پاکیزہ شخصیت - ۵ : حقیقی ذورِ طیف - ۶ : زیب و زینت
۷ : سرِ و ایک درخت ہوتا ہے جس کا تنہا نہایت سڈول پکنا اور سیہ ہا ہوتا ہے۔ مراد یہ ہے کہ آقا کے نامدار صلی اللہ علیہ وسلم
۸ : از سزا بہ قدم ظاہری طور پر بھی نہایت کامل اور تعالیٰ کی بے شمار ملکوتوں کے رازدار بھی۔
۹ : وہ اکائی و تنہائی کا نقطہ و مرکز جہاں سے تخلیقِ ددوئی کا آغاز ہوتا ہے۔
۱۰ : مشہور روایت ہے کہ غزوہٴ تبوک سے واپسی میں مقامِ منبأ پر پڑاؤ کے دوران حضرت علی رضی اللہ عنہ کسی بنا پر نماز عصر میں
نہ ہو سکے تھے کہ آنحضرت صلی اللہ علیہ وسلم ان کے زانو پر سر رکھ کر آرام فرماتے گئے۔ وقت گزر رہا تھا مگر ادبِ نبوت کا
پاس اس وجہ تھا کہ کچھ نہ کہہ سکے بلکہ بدن کو جنبش بھی نہ ہونے دی کہ میاں اور سرور کو نبی صلی اللہ علیہ وسلم کے آرام میں خلل واقع
جو۔ البتہ واندہ میں آنحضرت نے جو نصارِ مبارک پر گھرے آپ نے آنکھ کھولی دریافت فرمایا حضرت علی رضی اللہ عنہ نے عصر کے
قضاہ بھولنے کا ذکر کیا۔ سورج غروب ہو رہا تھا کہ آنحضرت صلی اللہ علیہ وسلم نے اشارہ فرمایا اور سورجِ رجعت کے ساتھ واپس
آیا۔ اور حضرت علی رضی اللہ عنہ نے نماز عصر ادا کی۔ اس شعر میں رجعتِ شمس سے اس مجہول کی طرف اشارہ ہے جس کا فقر کا مجہول سب پر عروج
کے قضاہ کے مطالبہ پر آنحضرت صلی اللہ علیہ وسلم نے انگشتِ مبارک سے چاند کو اشارہ فرمایا تو چاند بچے سے آدھا آدھا ہو کر بھا ہوا اور پھر چلیا
قرآنِ کریم میں سورۃ تہ کو اسی مجہول کے ذکر سے شروع کیا گیا ہے۔ اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَالشَّيْءُ الْقَمَرُ۔

جس کے زیرِ لُؤا آدم و من سوا	اس سترائے سیادت پہ لاکھوں سلام
عرشِ تافرش ہے جس کے زیرِ نیگیں	اس کی قاطرِ ریاست پہ لاکھوں سلام
اصلِ ہر بود و بہبود و تنسیم و جود	قاسمِ کنیزِ نعمت پہ لاکھوں سلام
فتح بابِ نبوت پہ بے حد درود	نقیمِ دورِ رسالت پہ لاکھوں سلام
شرقِ انوارِ نوری پہ بے حد درود	فتحِ ازابِ قدرت پہ لاکھوں سلام
بے سیم و تقسیم و عدیل و مثیل	جو ہر فردِ عزت پہ لاکھوں سلام
سترِ غیبِ ہدایت پہ غیبی درود	عطیہٴ حیات پہ لاکھوں سلام
ماہِ لاہوتِ خلوت پہ لاکھوں درود	شاہِ ناسوتِ جلوت پہ لاکھوں سلام
کنزِ ہر بے کس دے نوا پر درود	حرزِ ہر رفتہ طاقت پہ لاکھوں سلام
پرتوِ اسمِ ذاتِ احد پر درود	مقطعِ ہر سیادت پہ لاکھوں سلام
خلق کے وادرس سب کے فریادرس	کہفِ روزِ مصیبت پہ لاکھوں سلام
مجھ سے بے کس کی دولت پر بے حد درود	مجھ سے بے کس کی قوت پہ لاکھوں سلام
شیعِ بزمِ دنیٰ ہو گم کن انا	شرحِ مننِ جوییت پہ لاکھوں سلام

- ۱ : لواءِ محمد یعنی وہ جہنم جو قیامت کے پہلے میں آں حضرت صلی اللہ علیہ وسلم کو عطا ہوگا جس سے آزاد و تائب ہو جائیں گے۔ آپ کی سرداری کا لاکھوں سے دیکھیں گے۔ اور وہ سرداری انبیاءِ اولیاء و دیگر افرادِ سبھی کے لیے برابر ہوگی۔
- ۲ : ایسی لائقِ سرداری۔
- ۳ : زیرِ دست۔
- ۴ : ہر چیز کی اصل ہر وجود کی بنیاد۔
- ۵ : حدیثِ شریف میں آتا ہے انما انا القاسم واللہ یعطی میں بلاشبہ تقسیم کرنے والا ہوں اور خدا تعالیٰ عطا کرنے والا ہے۔
- ۶ : چکنا۔
- ۷ : چکنا، کھلنا۔
- ۸ : جس کا کوئی حصہ دار نہ ہو ایسی بے مثال آپ کی ذاتِ مبارکہ ہے صلی اللہ علیہ وسلم
- ۹ : ہدایتِ غیبی کے پرستار بنانے۔
- ۱۰ : خلوتِ خانہٴ الہی کے دیکھتے چاند۔ جہاں آپ کے مخلوق کا گھر نہیں
- ۱۱ : دنیا کی رونقِ افروزی کے بادشاہ۔
- ۱۲ : خزانہ۔
- ۱۳ : کھوٹی ہوئی طاقت کے پیشانیان
- ۱۴ : ذاتِ باری کے ہر ترکہ کامل۔
- ۱۵ : ہر سرداری کی انتہا۔
- ۱۶ : قیامت کے دن کی جائے پستانہ
- ۱۷ : واقعہٴ معراج سے متعلق آیتِ مبارکہ کی طرف اشارہ ہے کہ تم کوئی فتدلی فکان قناب قومین ادا دنیٰ یعنی جب آپ معراج شریف کے لیے تشریف لے گئے تو جہاں انبیاء و فرشتوں میں سے کسی کا گزرنہ تھا وہاں ذاتِ مقدسہ مسلسل ترقی کرتی چلی گئی یہاں تک کہ قربِ کادہ عالمِ ہوا کہ الفاظ اس کا فاصلہ بیان کرنے سے قاصر رہ گئے اور تشبیہات یوں کہنا پڑا۔ فکان قناب قومین ادا دنیٰ کہ وہ اتنے قریب ہو گئے جیسے کہ کمان کے دو لڑیں برے یا اس سے بھی کم فاصلہ۔ شعر کا مطلب یہ ہے کہ آپ کی ذاتِ مبارکہ اس مظلومِ تربت کی شمع ہے جہاں ذاتِ مبارکہ نے مسلسل ترقی کر کے مظلومِ تربت میں ان کو گرم کر دیا اور مقامِ فنا کے حقیقی لطف سے بہرہ اندوز ہو کر جب وجہت کی تو اس متنِ لطیف کی شرح کی حیثیت و مقام حاصل کئے۔ کہ قرینہٴ مصداق کائنات ہوا اور زریحی شرح کائنات کا مصداق بنا۔

انتہائے دونیٰ ابتدائے یکی	جمع و تفریق و کثرت پہ لاکھوں سلام
قلبت بعد کثرت پہ بے حد درود	عزت بعد ذلت پہ لاکھوں سلام
رب اعلیٰ کی نعمت پہ اعلیٰ درود	حق تعالیٰ کی سنت پہ لاکھوں سلام
ہم غریبوں کے آقا پہ بے حد درود	ہم نقیروں کی ثروت پہ لاکھوں سلام
فرحتِ جانِ مومن پہ بے حد درود	غیظِ قلبِ ضلالت پہ لاکھوں سلام
سبب ہر سبب منتہائے طلب	علتِ جملہ علت پہ لاکھوں سلام
مصدرِ مظہریت پہ اظہر درود	مظہرِ مصدریت پہ لاکھوں سلام
جس کے جلوے سے مرجائی کلیاں کھلیں	اس گلِ پاکِ منبت پہ لاکھوں سلام
قد بے سایہ کے سایہ مرہمت	ظلِ ممدودِ رافت پہ لاکھوں سلام
طائرانِ قدس جن کی ہیں قسریاں	اس سہی سروِ قامت پہ لاکھوں سلام
وصف جس کا ہے آئینہ حقِ منا	اس خدا ساز طاعت پہ لاکھوں سلام
جس کے آگے سرِ سردراں خم رہیں	اس سرِ تاجِ رفعت پہ لاکھوں سلام
وہ کرم کی گھٹا گیسوئے مشک سا	لکڑے ابرِ رافت پہ لاکھوں سلام
لیلۃُ القدر میں مطلع الفجر حق	مانگ کی استقامت پہ لاکھوں سلام
دور نزدیک کے سننے والے وہ کان	کانِ بعلِ کرامت پہ لاکھوں سلام
چشمہ ہر میں سورجِ نورِ جلال	اس رگِ با شمیمیت پہ لاکھوں سلام

۱ : فرق و تفریق اور کثرت و دونیٰ کی وہ انتہا جس کے آگے مقامِ احدیت کے سوا کچھ نہیں۔ درحقیقت ذاتِ مقدس صلی اللہ علیہ وسلم فائق و فوقی کے درمیان ایک ایسی کوئی چیز جہاں سے سر ہو بلکہ اس سے بھی کم آگے مقامِ احدیت ہے اور اس مقام سے اولیٰ فردِ ترجیح سے خلق و دونیٰ کا مقام آجاتا ہے۔ آپ کی ذاتِ مرکزِ کائنات بھی ہے کہ ہر شے کی ابتدائی تخلیق آپ کے نورِ مبارک سے ہوئی اور ہر چیز کے منتہی بھی آپ ہی ہیں کہ آپ کا دورِ نبوت جو علمِ الہی بیگناہ اس کے ختم ہوتے ہی اس کائنات کو بھی ختم ہو جاتا ہے۔ اور قیامت کا بیگانہ بپا ہو جاتا ہے۔

۲ : سرچشمہ کائنات۔ کل مظہرینی ذاتِ اقدس صلی اللہ علیہ وسلم۔

۳ : مشہر ہے کہ آپ کا سایہ نہ پڑتا تھا کہ آپ کا سایہ رحمتِ پوری کائنات پر پھیلا ہوا تھا۔

۴ : پھیلا ہوا سایہ۔ ۵ : فرشتے۔ ۶ : جس پر مبارک۔

۷ : بادشاہ۔ ۸ : بلند کی کاتاج پہننے والے۔ ۹ : غلام۔

۱۰ : رحمت۔ ۱۱ : آپ کی مانگ ایسی معلوم ہوتی تھی جیسے رات کے اندھیرے سے صبحِ نمودار ہو رہی ہو۔ ۱۲ : خاندانِ قریش کی شاخِ بنو ہاشم سے آپ کا نسب تعلق ہے اس لیے آپ کو ہاشمی بھی کہا جاتا ہے۔

جس کے ماتھے شفاعت کا سہارا ہا
جن کے سجدے کو محرابِ کعبہ جھکی
ان کی آنکھوں میں وہ سایہ افکن مژہ
اشکباری مڑھاں پہ برسے درود
معنی قدرائی مقصدِ ماطعی
جس طرف اٹھ گئی دم میں دم آگیا
پہنچی آنکھوں کی شرم و حیا پہ درود
جن کے آگے چسراغِ قرہ جھلائے
جس سے تاریک دل جگمگانے لگیں
ان کے خد کی سہولت پہ بے حدود
پاند سے منہ پہ تاباں درخشاں درود
شبنمِ باغِ حق یعنی رخ کا عرق
خط کی گردِ دہن وہ دل آرا پھبن
ریشِ خوش معتدل مرہم ریشِ دل
پتلی پتلی گل قدس کی پتیاں

اس چمنِ سعادت پہ لاکھوں سلام
ان بھوؤں کی لطافت پہ لاکھوں سلام
ظہرِ نصیرِ رحمت پہ لاکھوں سلام
سلاکِ درِ شفا عمت پہ لاکھوں سلام
نرسِ باغِ قدرت پہ لاکھوں سلام
اس نگاہِ عنایت پہ لاکھوں سلام
اوپنی بینی کی رفعت پہ لاکھوں سلام
اُن عذاروں کی طاعت پہ لاکھوں سلام
اس چمک والی رنگت پہ لاکھوں سلام
ان کے قد کی رشاقت پہ لاکھوں سلام
نمک آگینِ صبا صحت پہ لاکھوں سلام
اس کی سچی براقت پہ لاکھوں سلام
سبزِ نہرِ رحمت پہ لاکھوں سلام
ہالہ ماہِ ندرت پہ لاکھوں سلام
اُن لبوں کی نزاکت پہ لاکھوں سلام

۱: مبارک پیشانی۔ ۲: سبک و نازک بھویں اور ان کا غرائی جھکاؤ۔ ۳: پکلیں۔
۴: رحمت کا سائبان۔ ۵: امت کے علم آپ کی پکلیوں سے گرنے والے آسوا۔
۶: شفاعت کے سورتوں کی لڑی۔ ۷: معنی قدرائی۔ مقصدِ ماطعی سے مراد آپ کی ذاتِ مبارکہ ہے اس شعر میں سورۃ
نجم کی آیاتِ عبراہ کی جانب اشارہ ہے کہ جب انوارِ الہی اور تجلیاتِ ربانی کی آپ نے زیارت کی تو آپ کی نگاہوں نے توحید و
ہوئیں نہ میں کسی کم کا پکڑ آیا۔ تجرباتِ شاہد ہیں کہ نیز روکش سے آنکھیں بھی خیرہ و چکا چوند ہوتی ہیں اور سر بھی گھومتے گستا ہے
اور صحیح طور سے انسان کچھ بھی نہیں دیکھ پاتا۔ چونکہ انسان کا یہی تجربہ ہے اس لیے خداوند قدوس نے ناقصِ بھارت و بیہیت
والوں کو تہذیبِ زمانہ کی اس کے مجرب کو اپنے معاملہ پر قیاس نہ کر لیں وہاں حقیقی تجلیات دیکھنے پر بھی کسی قسم کی چکا چوند یا اصرار
میں لغزش نہ آئی۔ پس جو کچھ دیکھنا تھا وہی دیکھا۔ اور بلا حجاب دیکھا۔
۸: رخسارِ دل کی نرمی و خوبصورتی۔ ۹: مناسب و معتدل سمیلا۔ ۱۰: ملاحت و خوب صورتی۔
۱۱: پسینہ۔ ۱۲: چسپا۔ ۱۳: چسپا۔ ۱۴: چسپا۔ ۱۵: انوکھے۔

وہ دھن جس کی ہر بات دھی خدا	چشمہ علم حکمت	پہ لاکھوں سلام
جس کے پانی سے شاداب جان و جنان	اس دھن کی طراوت	پہ لاکھوں سلام
جس سے کھاری کنوئیں شیرۂ جاں بنے	اس زلالِ حلاوت	پہ لاکھوں سلام
وہ زباں جس کو سب کُن کی کجی کہیں	اس کی نافذ حکومت	پہ لاکھوں سلام
اس کی پیاری فصاحت پہ بے حد درود	اس کی دل کش بلاغت	پہ لاکھوں سلام
اس کی باتوں کی لذت پہ لاکھوں درود	اس کے خطبہ کی ہیبت	پہ لاکھوں سلام
وہ دعا جس کا جو بن بہارِ قبول	اس نسیمِ اجابت	پہ لاکھوں سلام
جن کے گچھے سے لچے جھڑیں نور کے	ان ستاروں کی نزہت	پہ لاکھوں سلام
جن کی تسکین سے روتے ہوئے ہنس پڑیں	اس تبسم کی عادت	پہ لاکھوں سلام
جس میں نہریں ہیں شیر و شکر کی رواں	اس گلے کی نصارت	پہ لاکھوں سلام
دوش بر دوش ہے جن سے شانِ شرف	ایسے شانوں کی شوکت	پہ لاکھوں سلام
خجرِ اسود کعبہٴ جان و دل	یعنی مہرِ نبوت	پہ لاکھوں سلام
روئے آئینہ عیلمِ پشتِ حضور	پشتی قصرِ ملت	پہ لاکھوں سلام
ہاتھ جس سمت اٹھا غنی کر دیا	موجِ بحرِ سماعت	پہ لاکھوں سلام
جس کو بارِ دو عالم کی پرواہ نہیں	ایسے بازو کی قوت	پہ لاکھوں سلام
کعبہٴ دین و ایمان کے دونوں ستوں	ساعینِ رسالت	پہ لاکھوں سلام

- ۱ : منہ -
۲ : خالص مٹھاس و شیرینی۔ اس شعر میں ایک مجزہ کی جانب اشارہ ہے کہ ایک مرتبہ صاپکرام نے ایک کھاری کنویں کے پاس
میں شکایت پیش کی آپ شریفین نے گئے اور اپنا عاب مبارک اس میں ڈال دیا تو وہ پانی نہایت شیریں دیکھا ہو گیا۔
۳ : قبولیت کی ہوا۔
۴ : مراد دھان مبارک (صلی اللہ علیہ وسلم)۔
۵ : غنی و شادابی۔
۶ : حضور اکرم صلی اللہ علیہ وسلم کی پشت مبارک کی داہنی جانب ہیشادی شکل میں ابھری ہوئی مہرِ نبوت تھی جس پر لفظ نور لکھا تھا
۷ : یعنی آنحضرت صلی اللہ علیہ وسلم کے پیچھے بیٹھے کا علم بالکل اسی طرح ہے جیسے کوئی سائنس دان دیکھتا ہو۔
۸ : پشتیان۔ سہارا۔
۹ : سخاوت۔
۱۰ : دونوں کلاسیاں۔

جس کے ہر خط میں ہے موج نورِ کرم	اس کفِ بھرہمت پہ لاکھوں سلام
نور کے چشمے لہرائیں دریا بہیں	انگیوں کی کرامت پہ لاکھوں سلام
عیدِ مشکل کشائی کے چمکے ہلال	ناخوں کی بشارت پہ لاکھوں سلام
رفعِ ذکرِ جلالت پہ ارفعِ درود	شرحِ صدرِ صدارت پہ لاکھوں سلام
دل سمجھ سے دلا ہے مگر یوں کہوں	فنیہِ رازِ وحدت پہ لاکھوں سلام
کل جہاں ملک اور جو کی روٹی غذا	اس شکم کی تناغت پہ لاکھوں سلام
جو کہ عزمِ شفاعت پہ کھینچ کر بندھی	اس کمر کی حمایت پہ لاکھوں سلام
انبیاء تہ کریں زانو اس کے حضور	زانوؤں کی وجاہت پہ لاکھوں سلام
ساقِ اصلِ قدم شاخِ نخلِ کرم	شمعِ راہِ اصابت پہ لاکھوں سلام
کھائی قسراں نے خاکِ گزر کی قسم	اس کفِ پاکی حرمت پہ لاکھوں سلام
جس سہانی گھڑی چکا طبیب کا چاند	اس دل افروز ساعت پہ لاکھوں سلام
پہلے سجدہ پہ روزِ ازل سے درود	یادگارئی امت پہ لاکھوں سلام
زرعِ شاداب ہر ضرع پر شیر سے	برکاتِ رضاغت پہ لاکھوں سلام
بجائیوں کے لیے ترکِ پستاں کریں	دودھ پتیوں کی نصفت پہ لاکھوں سلام

- ح : عزم کے سمندر۔
موقع پر دورانِ سُرپائی اصل نعمت ہو گیا تو آپ نے سارا پانی جمع کرنے کا حکم فرمایا۔
سارے قافلہ کا پانی جمع کر کے پرموت ایک باد یہ یعنی ایک کنوڑہ پانی نکلا چنانچہ آپ نے اس میں اپنا دست مبارک رکھنا اور دیکھتے ہی دیکھتے آپ کی انگلیوں سے پانی کے تواترے پھر ننا شروع ہو گئے سب نے خوب سیر ہو کر پیا اور اپنے اپنے شکیزے بھی بھر لیے۔
- ح : سورۃ النمر شرح میں غلاتائی نے فرمایا : اے حبیب کیا ہم نے آپ کے سیتہ کو دا نہیں کیا۔۔۔۔۔ پھر فرمایا : اور ہم نے آپ کے ذکر کو بیکر کیا۔
ح : یعنی سارا جہاں آپ کی وجہ سے اور آپ کیلئے بنا ہے اور آپ کے صدقہ میں ساری مخلوق کے لیے۔
ح : حبیب و دہرہ۔
ح : مفسرین نے لکھا ہے کہ لا اقسام بھذا البلد یعنی قسم کھاتا ہوں میں اس شہر کی اس سے مراد مکہ مکرمہ ہے جو آپ کی جائے پیدائش اور ملکِ مکر ہے۔
ح : مواہب لدنیہ ص ۱۱۱ میں حضرت آمد رضی اللہ تعالیٰ عنہما کا قول ہے : یعنی جب آپ پیدا ہوئے تو میں نے دیکھا کہ آپ سجدے میں ہیں اور دعا جزی و زاری کے ساتھ انگلی اٹھائی ہوئی تھیں۔
ح : جانوروں کے صقن۔
ح : دودھ پلانا۔ اس شعر میں رضاغت کے زمانے کے معجزے کا ذکر ہے کہ جب دانی طہرہ آپ کو ملے تو آپ کی برکت سے وہاں کی سوکھی کھیتیں اور خشک میدان ہر طرح پر آب کی اور نیلایا و بکریاں خوب دودھ دینے لگیں۔
ح : انصاف

ہند دالا کی قسمت پہ صدمہ درود	برج ماہ رسالت پہ لاکھوں سلام
اللہ اللہ وہ بچنے کی پھین	اس خدا بھائی صورت پہ لاکھوں سلام
اٹھتے بوڑوں کی نشوونما پر درود	کھلتے غنوں کی نکہت پہ لاکھوں سلام
فضل پیدائشی پر ہمیشہ درود	کھیلنے سے کراہمت پہ لاکھوں سلام
بے بنا دروٹ ادا پر ہزاروں درود	بے تکلف ملاحت پہ لاکھوں سلام
بھینی بھینی مہک پر مہکتی درود	پیاری پیاری نفاست پہ لاکھوں سلام
میٹھی میٹھی عبارت پہ شیریں درود	اچھی اچھی اشارت پہ لاکھوں سلام
سیدھی سیدھی روش پر کروڑوں درود	سادہ سادی طبیعت پہ لاکھوں سلام
روز گرم و شب تیسرے دتار میں	کوہ و صحرا کی خلوت پہ لاکھوں سلام
جس کے گھرے میں ہیں انبیاء و ملک	اس جہاں گیر بعثت پہ لاکھوں سلام
انٹھے شیشے جھلا جھل دکنے لگے	جلوہ ریزی کی دعوت پہ لاکھوں سلام
لطف بیدار تھی شب پہ بے حد درود	عالم خواب راحت پہ لاکھوں سلام
خندہ صبح عشرت پہ نوری درود	گریہ امیر رحمت پہ لاکھوں سلام
نرمی خوں لینت پہ دائم درود	گرمی شان سلطوت پہ لاکھوں سلام
جس کے آگے کھنپی گردنیں جھک گئیں	اس خداداد شوکت پہ لاکھوں سلام
کس کو دیکھا یہ موسیٰ سے پوچھے کوئی	آنکھ والوں کی ہمت پہ لاکھوں سلام

- ۱ : بالترتیب حضرت آمنہ اور حضرت علیہ سعدیہ رضی اللہ عنہما کی گزشتیں مراد ہیں۔
۲ : بڑھنا۔ پیروریش پانا۔
۳ : جنگل دیہاڑ۔ اعلان نورت سے پہلے حضور اکرم صلی اللہ علیہ وسلم جنگل جاتے اور غار حرا میں سلسل کئی کئی روز تک عبادت الہی میں مشغول رہتے۔
۴ : فرشتے۔
۵ : شاعریں ڈانسا۔ یعنی باطنی توجہ۔ یعنی جہاں کھڑا سلام کے دشمن اور سخت ترین دشمن تھے آپ کی توجہ اور دعوت اسلام قبول کرنے کے بعد یہی لوگ بہترین محافظ بن گئے۔ پاسباں مل گئے کعبہ کو منہم خانے سے۔
۶ : مسکراتی صبح۔
۷ : امت کے منہم ہیں روزنا۔
۸ : نرم عادت۔ قرآن حکیم نے آپ کا یہ وصف بیان فرمایا "نبیاً رحمة من اللہ لتعلم" خدا کی رحمت سے آپ ان کے لیے جوئے نرم ہیں۔
۹ : حاکم و نشان۔

گرمہ دستِ انجم میں رخشاں ہلال
شورِ تکبیر سے تھر تھرائی زمین
نعرائے دلیراں سے بن گونجتے
وہ چقا چاق خنجر سے آتی صدا
ان کے آگے وہ حمزہ کی جانبازیاں
انصرض ان کے ہر مو پہ لاکھوں درود
ان کے ہر نام و نسبت پہ نامی درود
ان کے مولا کے ان پہ کروڑوں درود
پارہائے صحفِ غنچہائے قدس
آبِ تطہیر سے جس میں پودے جے
خونِ خیرِ ارسل سے ہے جن کا خمیر
اس بتولِ جسگر پارہ مصطفیٰ
جس کا آپنچل نہ دیکھا مہ دہرنے
سیدہ زہرا و طبیبہ طاہرہ
وہ حسنِ مجتبیٰ سیدِ الاسخیا
ادیج ہر صدی موجِ محسّرندی

بدر کی دُفیعِ ظلمت پہ لاکھوں سلام
جنبشِ عیشِ نصرت پہ لاکھوں سلام
غرسِ کوسِ جرأت پہ لاکھوں سلام
مصطفیٰ تیری صولت پہ لاکھوں سلام
شیرِ غرآنِ سطوت پہ لاکھوں سلام
ان کی ہر خوبِ صلت پہ لاکھوں سلام
ان کے ہر وقت و حالت پہ لاکھوں سلام
ان کے اصحابِ دُخترت پہ لاکھوں سلام
اہل بیتِ نبوت پہ لاکھوں سلام
اس ریاضِ نجابت پہ لاکھوں سلام
ان کی بے لوثِ طینت پہ لاکھوں سلام
محملہ آرائے عفت پہ لاکھوں سلام
اس ردائے نزاہت پہ لاکھوں سلام
جانِ احمد کی راحت پہ لاکھوں سلام
راکبِ دوشِ عزت پہ لاکھوں سلام
روحِ درودِ سخاوت پہ لاکھوں سلام

- | | |
|---|---|
| ۱ : اندھیرا دور کرنے والا چاند - | ۲ : فرشتوں کا وہ لشکر جو جنگل میں مدد کے لیے اترتا تھا۔ |
| ۳ : حمد - رعب - | ۴ : روگشا - ہال - |
| ۵ : عادت - | ۶ : فائدان - |
| ۷ : قرآنِ پاک کے پارے یعنی افرادِ اہل بیت - | ۸ : شرافت کے باغ۔ |
| ۹ : پاک پانی۔ | ۱۰ : پاکدامنی کے ڈولے میں بیٹھنے والی۔ |
| ۱۱ : عادت - طبیعت - | ۱۲ : پاکیزہ چادر۔ |
| ۱۳ : چاند سورج - | ۱۴ : سخیوں کے سردار۔ |
| ۱۵ : سخاوت کا سمندر۔ | ۱۶ : ترقی پزیری۔ |

شہدِ خوارِ ثعالبِ زبانِ نبی
اس شہیدِ بلاشاہِ گلگونِ قبۃ
دُرِّ درجِ نجفِ مہرِ بُرجِ شرف
اہلِ اسلام کی مادرانِ شفیع
جلو گیتانِ بیتِ الشرف پہ درود
سیتا پہلی ماں کہفِ امن و امان
عرش سے جن پہ تسلیم نازل ہوئی
منزلٌ مِنْ قَصَبٍ لَا نَصَبَ لَا مَحَبَ
بنتِ صدیقِ آرامِ جانِ نبی
یعنی ہے سورۃ نور جن کی گواہ
جن میں روح الامیں بے اجازت نہ آئیں
شمعِ تابانِ کاشانۂ اجتہاد
جانِ نشانِ بدرِ واحد پہ درود
وہ دسوں جن کو جنت کا مژدہ ملا
اس مبارک جماعت پہ لاکھوں سلام

۱: حضرت صن کی پیدائش پر رسول اکرم صلی اللہ علیہ وسلم نے اپنا ثعالبِ مبارک آپ کے دہن میں منتقل فرمایا تھا۔
۲: لڑالہ بصرانی مناقب آل بیت النبی الخیار ص ۱۲ میں سیدنا امام حسن رضی اللہ عنہ کے تذکرہ میں ہے کہ رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم حضرت حسن کو دیکھ کر خوش ہوئے اور زبان مبارک ان کے منہ میں ڈال کر اپنا ثعالبِ مبارک ان کے دہن میں داخل فرمایا پھر ساتویں دن آپ نے فرمایا تم نے کیا نام رکھا جواب ملا "حرب" آپ صلی اللہ علیہ وسلم نے فرمایا تمہیں حسن نام لکھو
۳: شہید کر بلا۔ یعنی حضرت حسین رضی اللہ عنہ۔ ۴: پھولوں کی سی رنگت والی۔ ۵: بے بس پروردگار
۶: نجف کے راستہ کے موتی۔ ۷: ہریان مائیں یعنی اہمات المؤمنین ۸: خصوصاً۔
۹: کھجور کی چمبیوں سے بنا ہوا سا گھر جس میں کسی قسم کی تکلیف نہ ہو۔ ۱۰: مکان۔
۱۱: یعنی ام المؤمنین حضرت عائشہ صدیقہ رضی اللہ عنہا۔ ۱۲: حضرت ام المؤمنین کی پاکدامنی کے خلاف جب منافقین نے تہمت لگائی تو قرآن کریم نے انکی پاکیزگی کی گواہی سورہ ناز کے ذریعہ فرمائی اور تہمت لگانے والوں کو ۱۰ کوڑوں کی سزا فرمادی یہی دلیل ہے کہ سورہ ناز حضرت جبریل علیہ السلام۔ ۱۳: پردے۔ ۱۴: جھلکے اور بے۔ حضرت ابو جعفر رضی اللہ عنہ حضرت عثمان رضی اللہ عنہ حضرت علی رضی اللہ عنہم و رضوانہ۔ ۱۵: بدر واحد۔ اسلام کی پہلی جنگیں جو بالترتیب ۱۲، ۱۳، ۱۴ میں پیش آئیں۔ ۱۶: الہامیت سے مراد وہ تمام صحابہ ہیں جنہوں نے صلح حدیبیہ کے موقع پر ایک درخت کے نیچے حضور اکرم صلی اللہ علیہ وسلم کے دست مبارک پر بیعت کی تھی۔
۱۷: صحابہ کرام کو حضور اکرم صلی اللہ علیہ وسلم نے ان کی زندگی میں جنت کی خوشخبری دی تھی۔ وہ ہیں حضرت ابو جعفر صدیق و عثمان رضی اللہ عنہما و علی و سید بن ابی طالب و سید بن زید و محمد بن جعفر بن عوف و زبیر و طلحہ و ابراہیم و عیدہ ۱۸: ابن الجراح رضی اللہ عنہم۔ انہیں کو مشہور و کبابا ہے

خاص اس سابق خیرِ قرب خدا	احمد کا ملیت پہ لاکھوں سلام
سایہ مصطفیٰ مایہ مصطفیٰ	عز و نازِ خلافت پہ لاکھوں سلام
یعنی اس افضل الخلق بعد الرسل	ثانی اثین ہجرت پہ لاکھوں سلام
امدق الصادقین سیدالتقین	چشم و گوش وزارت پہ لاکھوں سلام
وہ عمر جس کے اعدا پہ شیدا سقر	اس خدا دوست حضرت پہ لاکھوں سلام
فارق حق و باطل امام الہدیٰ	تیغ سلول شدت پہ لاکھوں سلام
ترجمان نبی صم زبان نبی	جان شانِ عدالت پہ لاکھوں سلام
زاہد سجد احمدی پہ درود	دولت جیشِ عمرت پہ لاکھوں سلام
در منشور قرآن کی سلک بھی	زوج دونورِ عفت پہ لاکھوں سلام
یعنی عثمان صاحبِ قیصرِ ہدیٰ	حکد پوششِ شہادت پہ لاکھوں سلام
مرتضیٰ شیرِ حق اشجع الاشجعین	ساتی شیر و شربت پہ لاکھوں سلام
اصل نسل صفا و میرِ وصل خدا	باب فضلِ عدالت پہ لاکھوں سلام
اولین دافع اہل رفض و خروج	چارٹی رکنِ ملت پہ لاکھوں سلام
شیرِ شمشیر زن شاہِ نصیرِ شکن	پرتو دوستِ قدرت پہ لاکھوں سلام

- ۱۔ حضرت ابوبکر کا خطاب ہے جو قرآن حکیم نے بیان فرمایا۔ - ۲۔ حضرت عثمان رضی اللہ عنہ مراد ہیں۔
- ۳۔ غزوہٴ تبوک کا دوسرا نام ہے۔ اسی موقع پر جب چندہ ہوا تھا تو حضرت عمرؓ نے آدھا اور حضرت ابوبکر صدیقؓ نے سارا مسلمان لاکر قدم رسالت میں ڈال دیا تھا۔ اس موقع پر سارے حکمران کا آدھا مسلمان حضرت عثمان غنیؓ نے بٹا فرمایا تھا اسی واقعہ کی جانب اشارہ ہے
- ۴۔ قرآن کی سلک سے مراد یہ ہے کہ حضرت عثمان رضی اللہ عنہ نے ہی قرآن کریم کی تمام آیات کو تیسری اور آخری مرتبہ اجلہ صحابہ و کتابان وحی کی مدد سے جمع فرما کر تمام ممالک اسلام میں بھیلادیا۔ جو آج تک محفوظ شکل میں ہمارے ہاتھوں میں موجود ہے۔
- ۵۔ دونوں کے شوہر یعنی رسول اکرم صلی اللہ علیہ وسلم نے اپنی دو صاحبزادیاں یکے بعد دیگر حضرت عثمان کے عقد میں عطا فرمائیں تھیں۔
- ۶۔ مطلب یہ ہے کہ حضرت عثمان رضی اللہ عنہ کی خلافت کے بارے میں خوشخبری فرماتے ہوئے رسول اکرم صلی اللہ علیہ وسلم نے فرمایا تھا اے عثمان خدا تعالیٰ عن قرب تمہیں ایک بیٹا کے گا۔ اسے اتنا مانہیں یہی بیٹا آپ کی شہادتِ عظمیٰ کا باعث بنی۔
- ۷۔ رافضیوں اور فارحیوں کی سب سے پہلے حضرت علی رضی اللہ تعالیٰ عنہ نے ہی تردید کی تھی۔ ایک بستی میں تو آپ نے آگ لگوا دی تھی۔ یہ وہی لوگ تھے جنہوں نے حمایتِ علی کے نام پر اسلامی عقائد سے انحراف کیا اور اہل سنت والجماعہ کے دائرہ سے خروج کیا تھا۔
- ۸۔ چوتھے فیض اسلام
- ۹۔ سایہ۔ عکس۔

ماحی رخص و تفضیل و نصب و خروج	حامی دین و سنت پہ لاکھوں سلام
مومنین پیش فتح و پس فتح سب	اہل خیر و عدالت پہ لاکھوں سلام
جس مسلمان نے دیکھا انھیں آنکھیں	اس نظر کی بصارت پہ لاکھوں سلام
جن کے دشمن پہ لعنت ہے اللہ کی	ان سب اہل محبت پہ لاکھوں سلام
باقی ساتیان شرابِ طہور	زین اہل عبادت پہ لاکھوں سلام
اور جتنے ہیں شہزادے اس شاہ کے	ان سب اہل مکنات پہ لاکھوں سلام
ان کی بالا شرافت پہ اعلیٰ درود	ان کی والاسیادت پہ لاکھوں سلام
شافعی مالک احمد امام حنیف	چار باغِ امامت پہ لاکھوں سلام
کاملانِ طریقت پہ کامل درود	حاملانِ شریعت پہ لاکھوں سلام
غوث اعظم امام اتقی والنقی	جلوۂ شانِ قدرت پہ لاکھوں سلام
قطب و ابدال و ارشاد و رشد الارشاد	عہدِ دین و ملت پہ لاکھوں سلام
مردخیلِ طریقت پہ بے حد درود	فرد اہل حقیقت پہ لاکھوں سلام
جس کی منبر ہوئی گردن ادلیا	اس قدم کی کرامت پہ لاکھوں سلام
شاہِ برکات و برکات پیشینیاں	نوبہارِ طریقت پہ لاکھوں سلام
سید آلِ محمد امام الرشید	گلِ روضِ ریاضت پہ لاکھوں سلام

ح : فتح مکہ سے پہلے اور فتح مکہ کے بعد والے تمام صحابہ کرام۔ قرآن کریم میں انھیں الفاظ کے ساتھ صحابہ کرام کی تعریف کی گئی ہے۔ "تم میں سے کوئی شخص اس کے برابر نہیں ہو سکتا جس نے فتح (مکہ) سے پہلے خرچ کیا اور جنگ لڑی۔ وہ لوگ درجہ میں ان لوگوں سے بڑے ہیں جنھوں نے فتح (مکہ) کے بعد خرچ کیا اور جہاد کیا اور اللہ نے سبھی سے اچھا وعدہ کیا ہے۔ عزت و جاہ والے۔

ح : چاروں امام۔ یعنی حضرت امام شافعی۔ امام مالک۔ امام احمد اور امام ابوحنیفہ رحمہم اللہ۔

ح : دین کو زندہ کرنے والے۔

ح : حضرت غوث الاعظم شیخ عبد القادر جیلانی رحمۃ اللہ علیہ کا مشہور و معروف ہے کہ میرا پیر تمام ادلیا اللہ کی گردن پر ہے، یعنی تمام ادلیا اللہ کی سرور و آجھے دربار رسالت سے عنایت پہنچا ہے (والعلم عند اللہ)

حضرت حمزہ شیرِ خدا و رسول	زینتِ قادریت پہ لاکھوں سلام
نام و کام و تن و جان و حال و مقال	سب میں اچھے کی صورت پہ لاکھوں سلام
نورِ جاں عطرِ مجموعہ آلِ رسول	میرے آقائے نعمت پہ لاکھوں سلام
زیبِ سجادہ سجادِ نوری نہاد	احمدِ نورِ طینت پہ لاکھوں سلام
بے غلاب و عتاب و حساب و کتاب	تا ابد اہلِ سنت پہ لاکھوں سلام
تیرے ان دوستوں کے طفیل اے خدا	بندۂ ننگِ خلقت پہ لاکھوں سلام
میرے استادِ ماں باپ بھائی بہن	اہلِ دُلد و عشیرت پہ لاکھوں سلام
ایک میرا ہی رحمت پہ دعویٰ نہیں	شاہ کی ساری امت پہ لاکھوں سلام
کاشِ فشر میں جب ان کی آمد ہو	بھیجیں سب ان کی شرکت پہ لاکھوں سلام

مجھ سے خدمت کے قدسی کہیں ہاں رضا
مصطفیٰ جانِ رحمت پہ لاکھوں سلام

ح: اعلیٰ حضرت کے پیر سید آل رسول صاحب رحمۃ اللہ علیہ۔

ص: سید آل رسول رحمۃ اللہ علیہ کے خلیفہ سید ابوالحسن احمد نوری رحمۃ اللہ علیہ۔

مراجع البحث المراجع الشرقية

فى العربية

- ١ - إبراهيم الحيدرى تراجيدا كربلاء بيروت ، ١٩٩٩ م.
- ٢ - ابن قيم الجوزية جلاء الأفهام فى الصلاة والسلام على خير الأنام القاهرة
- ٣ - البيهقى دلائل النبوة، ج ١ بيروت ١٤١٨هـ / ١٩٩٧ م
- ٤ - الترمذى الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية بيروت ١٤١٦هـ / ١٩٩٦ م
- ٥ - الأمير مصطفى الشهابى معجم الشهابى فى مصطلحات العلوم الزراعية بيروت ١٩٧٨ م
- ٦ - المحب الطبرى الرياض النضرة فى مناقب العشرة، ج ١ القاهرة
- ٧ - المختار الكونتى ٧ - المختار الكونتى لب الألباب فى الصلاة على النبى الأواب القاهرة ١٤١٦هـ / ١٩٩٥ م
- ٨ - المسعودى مروج الذهب، ج ١، ٢ القاهرة ١٣٤٦هـ
- ٩ - المقريزى إمتاع الأسماع، ج ١ القاهرة ١٩٤١ م
- ١٠ - اليعقوبى تاريخ اليعقوبى، ج ١ لندن ١٨٨٣ م
- ١١ - ابن طباطبا الفخرى القاهرة ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧ م
- ١٢ - جمال بن نصير الجنابى شرح قصيدة البردة للبووصيرى لاهور ١٤١٦هـ - ١٩٩٥ م
- ١٣ - حازم محمد محفوظ أحمد رضا خان والعالم العربى لاهور ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م
- ١٤ - حازم محمد محفوظ بساتين الغفران لاهور ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م
- ١٥ - حسين مجيب المصرى الأندلس بين شوقى وإقبال القاهرة ، ١٩٩٩ م (دكتور)

- ١٦ - حسين مجيب المصرى المولد الشـريف القاهرة ١٩٨١م
(دكتور)
- ١٧ - حسين مجيب المصري تاريخ الأدب التركى لقاهرة ١٩٥١م
(دكتور)
- ١٨ - زكى مبارك (دكتور) المدائح النبوية فى الأدب العربى القاهرة ١٩٣٥م
- ١٩ - سيد الجميلى (دكتور) العشرة المبشرون بالجنة بيروت، ١٩٨٨م
- ٢٠ - شجاعت على القادري من هو أحمد رضا البريلوى لاهور الهندى
- ٢١ - عائشة عبد الرحمن تراجم سيدات بيت النبوة القاهرة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م
(دكتور)
- ٢٢ - عبد الحسيب حميد أدب الشيعة القاهرة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م
(دكتور)
- ٢٣ - عبد الحى اللكهنوى نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر حيدر أباد، ١٩٧٦م
- ٢٤ - محمد إقبال (دكتور) فى السماء، ترجمة د. حسين مجيب المصري القاهرة
- ٢٥ - محمد إقبال (دكتور) هدية الحجاز، ترجمة د. حسين مجيب المصرى القاهرة ١٩٧٥م
- ٢٦ - محمد حسين هيكل حياة محمد القاهرة، ١٣٥٤هـ
- ٢٧ - محمد رضا أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين بيروت ١٩٨٣هـ
- ٢٨ - محمد رضا عثمان بن عفان بيروت ١٩٨٢م
- ٢٩ - محمد على الصابونى شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول مكة المكرمة
- ٣٠ - محمد محمود الصواف زوجات النبی الطاهرات القاهرة ١٩٧٩م

- ٣١- مراد وهبه ويوسف كرم
ويوسف شلاله
- ٣٢- محيى الدين بن شرف
الـنـووى
- ٣٣- عبد المنعم الحفنى
معجم مصطلحات الصوفية بيروت، ١٤٠٧هـ/
١٩٨٧م.

فى الأردية

- ٣٤- بدر الدين أحمد
٣٥- رياض مجيد (دكتور)
- ٣٦- نور محمد القادري
٣٧- محمد أحمد رضاخان
- ٣٨- محمد أحمد رضاخان
٣٩- محمد ظفر الدين بهاري
- ٤٠- محمد مسعود أحمد
(دكتور)
- ٤١- محمد عبد الحكيم شرف
قـادري
- ٤٢- مريد أحمد الجشتى
٤٣- مجلة:
- ٤٤- فيضى أحمد أوىسى
٤٥- محمد خان قادري
- سوانح إمام أحمد رضا
اردو مين نعت گوئى
اعلى حضرت كى شاعرى
براىك نظر
العطايا النبوية فى الفتاوى
الرضوية ج ١
حدائق بخشش
حياة أعلى حضرت ج ١
حياة مولانا أحمد رضاخان
البريلوى
ياد اعلى حضرت بريلوى
جهان رضا
إمام أحمد رضاخان
شرح حدائق بخشش
شرح سلام رضا
- سكهر ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م
لاهور ١٩٩٠م
لاهور ١٤٠١هـ
لاهور
لاهور ١٩٩٨م
كراتشى
سيالكوت ١٩٨١م
لاهور ١٩٩٤م
لاهور ١٤٠١هـ
كانفرنس ٩٨
كراتشى ١٩٩٨م
كراتشى، ١٤١٥هـ/
١٩٩٥م
لاهور، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م

فـى الفـارسـية

- ٤٦ - محمد أحمد رضاخان ارمغان رضا لاہـور ١٩٩٤ م
٤٧ - سجادی (دكتور) فرہنگ لغات واصطلاحات تہـران، ١٣٥٤
وتعبيرات عرفانی

فـى التـرکـية

- ٤٨ - اوليا چلبی سیاحتنامہ استانبول ١٣١٤ هـ
٤٩ - Istanbul Ahmed' Ates Mevlid

فـى الإنـجـلیـزـية

- ٥٠ - Bailey: A history of Urdu Literature,(Lahor).

دكتور حسين مجيب المصرى

ولد فى القاهرة فى ١٦ فبراير عام ١٩١٦م
أستاذ كرسى الدراسات الفارسية والتركية والأدب الإسلامى المقارن فى قسم لغات
الشعوب الإسلامية بجامعة عين شمس بالقاهرة .

انتدب لتدريس الأدب التركى لجامعة بغداد . وانتدب لتدريس التصوف الإسلامى
والأدب الشعبى والأدب الإسلامى المقارن فى قسم اللغة التركية بجامعة الأزهر الشريف
ومعهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة

كما درس اللغة الفارسية فى كلية البنات بجامعة عين شمس وكلية الدراسات الإنسانية
بجامعة الأزهر ، ودرّس اللغة الفارسية كذلك فى معهد الآثار وقسم الآثار بجامعة القاهرة
وقسم الدراسات العليا بجامعة القاهرة ، ودرّس الأدب الشعبى فى كلية الفنون بجامعة
حلوان .

تخرج عليه من اشتغلوا بالتدريس فى ستة وعشرين جامعة من بين أمريكا الشمالية
والجنوبية وأوروبا وتركيا وإيران ومعظم الجامعات فى مصر . درس إحدى عشرة لغة يجيد
منها ثمانى لغات هى : العربية والفارسية والتركية والفرنسية والإنجليزية والألمانية
والإيطالية والروسية . كما أن له إلماما بالأردية والأرمنية واللاتينية والفهلوية .

قضى سبعة وعشرين عاما عضوا خبيرا فى المجمع اللغوى .
له ستة دواوين شعرية باللغة العربية يتأثر فيها بالشعر الفارسى والتركى كما أن له ديوانا
فارسى طبع فى مدينة لاهور وآخر بالتركية طبع فى القاهرة وله شعر بالفرنسية .
له إلى اليوم اثنان وستون كتابا منها خمسة معاجم عربية وفارسية وتركية وأردية .
وأخرج ثمانية كتب لإقبال عن الفارسية منها كتب له نقلها شعرا إلى العربية كما ترجم
كتاب الطاف حسين حالى عن الأردية إلى العربية . ونقل مولد سليمان چلبى عن التركية
إلى الشعر العربى .

منحه الرئيس ضياء الحق وسام الامتياز عام ١٩٨٨م
منحته تركيا أرفع وسام يمنح للعلماء فى عام ١٩٩٩م
منحته جامعة مرمره التركية الدكتوراه الفخرية عام ١٩٩٨م
دعى مرتين لتكريمه فى جامعات باكستان ، ومرة فى جامعات تركيا .

شكر

شكر الله لفضيلة الدكتور رزق مرسى أبو العباس الأستاذ بجامعة الأزهر الشريف
وفضيلة الأستاذ محمود جيرة الله من محققى التراث الإسلامى .
وفضيلة الدكتور/ محمد مسعود أحمد راعى مركز بحوث الإمام أحمد رضاخان
وفضيلة الشيخ/ السيد وجاهت رسول القادرى رئيس مركز بحوث الإمام أحمد رضاخان
وفضيلة الشيخ/ عبد القيوم الهزاروى رئيس الجامعة النظامية وفضيلة الشيخ عبد الحكيم
شرف القادرى الأستاذ بالجامعة النظامية وفضيلة الدكتور عبد المجيد سكرتير مركز بحوث
الإمام أحمد رضاخان والشيخ ممتاز أحمد السديدى الباحث بجامعة الأزهر .
الذين أعارونى كتباً أفدت منها . لهؤلاء جميعاً أدعو الله بحسن المثوبة على صدقة
العلم

القاهرة فى الشتاء من عام ١٩٩٩ م
دكتور حسين مجيب المصرى

المحتوى

٥	إهداء
٦	شكروا جب
٧	تقدمة
٧٨	نظرة فى السلامية
١٠٧	المنظومة السلامية
١٣٦	إلى مولانا أحمد رضا خان
١٣٧	الأصل الأردى (للمنظومة السلامية)
١٥١	ثبت بالمصادر
١٥٥	دكتور حسين مجيب المصرى فى سطور

الإمام

محمد أحمد رضا خان علم من

الأعلام الذين لا وجود الزمان بأمثالهم إلا

في النادرة، ذلك أنه شاعر رفيع الطبقة، وكاتب

وخطيب وداعية إسلامي رفيع القدر، إضافة إلى أنه

فقيه إمام له من المؤلفات كثير وكثير.

والمنظومة السلامية أشهر مدحة نبوية في اللغة الأردية، ولها

عظيم الشهرة عند المسلمين في شبه القارة الهندية

الهندية وكثير من الدول الإسلامية غير العربية التي تجاورها. إنها

تنشد بعد صلاة الجمعة في تلك البلاد على الدوام ولها عند العلماء

وغير العلماء منزلة لا تسامى، فقد ترجمت إلى كثير من اللغات

الشرقية وكذا إلى الإنجليزية، وتولى شرحها ودراستها علماء وأدباء

من غير العرب. وهذه ترجمة لها إلى الشعر العربي مع شروح مفصلة

وقد مقدمة مستفيضة في التعريف بصاحبها الإمام الفقيه الشاعر

مولانا محمد أحمد رضا خان، كما عقدت فيها المقارنة بينها

وبين بردة الإمام البوصيري. وبين صاحبها والعلامة محمد

إقبال الذي عايش شاعرها.

فهذا الكتاب إثراء وفير للمكتبة العربية الإسلامية،

وتعريف للقارئ العربي بما لم يعرف من

التراث الإسلامي المجيد.